نظرة من
خلال تفاحة

د. ميرزا آيهان إناق

SÜEDA

نظرة من خلال تفاحة

د. ميرزا آيهان إناق

الإعداد
يوسف إرماق

التوجيه التربوي
المستشار التربوي سالم كوسة

الترجمة
مسعود نوري يلماز

التصميم
علي باريلتي

تاريخ الطبع
الطبعة الأولى ٢٠٢٤

الطبع والتجليد
مطبعة شركة دار الخيرات
للتجارة والصناعة
قولة أونو/إسبارطة
الهاتف: ٢٥٩٢٠٤٦(٠٢٤٦)
www.hayratnesriyat.com

العنوان: ٧٢ شارع العاشق
ويسال حي الجمهورية
كوجوك جكماجة/إسطنبول
الهاتف: ٠٢١٢٦٧١٨٠٥١
www.e-sueda.com

جميع حقوق هذا الكتاب محفوظة لشركة سعداء للتجارة والصناعة والطبع والنشر. يمكن الاقتباس منه كمصدر ومرجع.

المحتويات

التحمس لتعلم أشياء جديدة ٥
ما أحلى الإيمان ٧
المعرّفون الثلاثة العظماء الذين عرّفونا بربنا ١٥
هل للإيمان درجات؟ ٢١
هل ننظر إلى التفاحة؟ أم ننظر من التفاحة؟ ٢٩
"قارتانه" مُدَلَّلَتُه ٣٦
النظر إلى الكون نظرة شمولية ٤٢
الرحلة إلى الجامعة ٤٨
القاعدة دليل على وجود من وضعها ٥١
الجامعة الإسلامية العلمية ٥٩
هناك تكامل بين الإسلام والعلم ٦٢
العقل يعمل بالأدلة ٦٥
عدم رؤية الصانع لا يعني أن المصنوع تكوَّن بالصدفة ٦٦
عالمنا مثل قصر فخم! ٩٦
لسان الكائنات السري ٧٠
أُرسِلُ لكَ رسائل بلسان حالي فهل تلاحظ ذلك؟ ٧٢
لا يستطيع الجاهل أن يفعل شيئاً يتطلب علماً ٤٧
لا لوحة بلا رسام ٧٦
الفاعل ليس من جنس المفعول ٧٩
فرتحم ماسر انمزلي هشارف مسر لجأ نم اتح ٨١
كل شيء مرتبط بكل شيء ٨٢
لا يمنح الحياة من لا حياة له! ٨٣
إذا كثرت الأيادي فسد الأمر ٨٤
المحاضر الذي كان مفاجأة ٨٧
كل قصيدة تظهر شاعرها ٨٨
عدم استطاعة رؤية الملائكة لا يعني عدم وجودهم ٨٩
البشرية محتاجة إلى الأنبياء ٩٢
سيكون هناك حياة الآخرة ٩٤
الخلق الثاني أسهل من الخلق الأول ٩٥
يحدد الناس خياراتهم بإراداتهم الحرة ٩٧
كيف للإنسان أن يكون بلا غاية بينما لكل شي غاية! ٩٩
الإيمان هو أعظم نقطة استنادنا ١٠٢
كيف أستطيع أن أقوي إيماني؟ ١٠٧

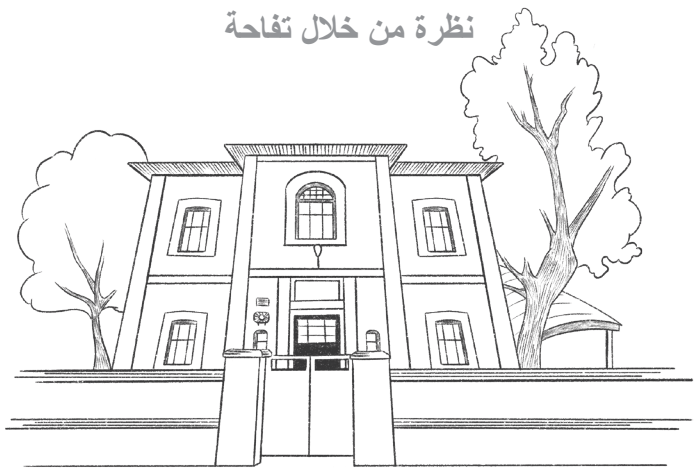

التحمس لتعلم أشياء جديدة

كانت أيام العطلة الجميلة تلك من شهور الصيف قد انتهت والفصل الدراسي قد بدأ، وكان الطلاب قد أَلِفوا المدرسة متحمسين لتعلم كل ما هو جديد. كان شهر سبتمبر قد مر مع هذه الحماسة في طرفة عين وبدأ يغشى الجوّ صُفرَة شهرأكتوبر وشحوبه.

وكانت أوراق شجرة الدلب ذات الجذع الضخم التي يلعب الطلاب تحت ظلها في حديقة المدرسة في أشهر الربيع والصيف قد تساقطت، وكانت أغصانها الغليظة التي تبني الطيور أعشاشها عليها قد تعرّت وأوراقها اليابسة تتطايرت في الأرجاء، إنها حديقة مدرسة تاريخية بقيت من العهد العثماني قريبة من منطقة أُسكودار وهي مبنية سنة ١٨٩٨.

كان الذي أمر ببناء هذه المدرسة السلطان عبد الحميد الثاني جعل الله الجنة مأواه الذي كان يولي التعليم والشباب أهمية كبيرة، وكان المبنى الذي خطط في تلك السنوات ليكون مدرسة رُشدية أي مدرسة إعدادية؛ مبنيا من الحجارة المقصوصة، تغلب عليه الرحابة والسعة، وكانت الصفوف قد جعلت مرتفعة كي يتسع المكان، كما صممت النوافذ على نحو واسع لينفذ منها أكبر قدر من الضوء والأوكسجين، وكانت بوابة مدخل البناء كبيرة جدًّا ومشتملة على لمسات فنية وجمالية.

وكانت هناك مكتبة ضخمة قبالة المدرسة وهي عبارة عن محل ذي طابق واحد تباع فيه الأدوات المكتبية والمجلات والكتب، وكان واسعا جدًّا وأمامه عشب وشجر، وكان بإمكان المرء أن يجلس إلى الطاولات التي بداخله فيشرب الشاي ويقرأ الكتب، وكان يعجُّ بالطلبة إذا حان وقت انصرافهم من المدرسة؛ إذ كانوا يحصلون منه على جزء من حاجياتهم المدرسية ويجدون فيه ما يرغبون في قراءته. وكان صاحب المكتبة معلّما متقاعدا شديد الحب للقراءة، وكان الشباب يدعونه بالعم عمر، ولطالما وجده الطلاب عندما يأتونه جالسا إلى طاولته يقرأ كتابا من خلال نظارته الجميلة، فيحدثونه ويسألونه عن الكتب التي يبحثون عنها، وكان العم عمر يلبي طلباتهم في سرور.

كان مكتوبا على جدار المحل بالخط العريض "خذ ما تشاء لتقرأ ثم أعده"، وكان الطلاب الذين يأتون أول مرة للمكتبة يندهشون لهذه العبارة ويقولون في أنفسهم "ما المقصود بها يا ترى؟" ثم كانوا يفرحون عندما يعلمون القصد منها، إذ كان ذلك يتيح لهم الانتفاع بهذه الكتب بمصروف بسيط فيمكنهم أن يستأجروا من العم عمر الكتاب الذي يعجبهم مدة خمسة عشر يوما لقراءته في هذه المدة دون أن يشتروه.

كما كان العم عمر جَدّ علي أحد طلاب الإعدادية الذي كان كثير الحركة ودائم البسمة ومحبا للمزاح، وكان في استراحة الظهيرة يأتي إلى المكتبة مع رفاقه فيساعد جده أحيانا، وغالبا ما كان يجلس إلى الطاولات فيستمع مع رفاقه إلى حديث جده العذب.

ولا أنسى هنا أن أذكر قطة العم عمر اللطيفة "قارتانه"[1] التي غدت جزءًا من المحل لا ينفك عنه، وكان رواد المكتبة يحبون رؤيتها ويسألون عنها إن لم يروها، فـ قارتانه كانت قطة بيضاء ناصعة البياض تتودد للزائرين

وتتعلّق بهم معبرة عن ذلك بأصوات المواء العذب التي تحدثها.

١ تعني بالعربية حبة الثلج (مترجم)

كان الأستاذ يوسف الذي هو مدرس مادة التربية الإسلامية في المدرسة يتردد كثيرا أيضا على المكتبة ليجالس العم عمر.

ما أحلى الإيمان

كان يوم الإثنين، وكان الطلاب في مادة التربية الإسلامية التي كانت الحصة الأخيرة وكانوا قد نالهم شيء من تعب اليوم، لكن الدرس الذي بدأ هو أحب الدروس إليهم، فقد كان مدرّس مادة التربية الإسلامية الأستاذ يوسف من الأساتذة المحبوبين في المدرسة. فالجانب الذي كان يحبه الطلاب في أستاذهم هو القيمة التي كان يمنحهم إياها، فهو يهتم بأفكارهم فإذا طرح عليهم سؤالا انتظر إجاباتهم قليلا وطلب منهم التفكير والتأني دون التسرع بالإجابة، بل يساعدهم حتى يجدوا الإجابة. وكان يبني معهم تواصلا فعالا ويشرح دروسه بأمثلة من صلب الحياة، فيحدثهم عن الكون وعن ما خلق الله من جمال وآثار ونِعَم ومعجزات،

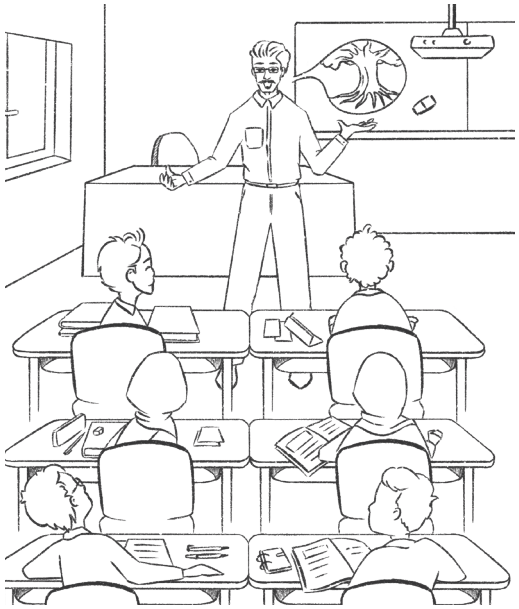

وكان يُشركهم في الدرس فيتناولونه معا، حتى إنه كان يخرج أحيانا بالطلاب إلى حديقة المدرسة فيعطيهم درسا في الهواء الطلق.

وكان الطلاب يحبون معلمهم كثيرا ويَحْضُرون درسه مستمتعين، ويطرحون عليه أسئلتهم وكانوا غالبا يتمنون ألا ينتهي الدرس، لكن الأستاذ يوسف كان يبتسم إليهم ويقول "لا بد لكم من الاستراحة أيضا يا شباب، فعليكم أن تستعدوا للحصة التالية" فإذا رنّ الجرس أنهى الدرس وغادر الصف قائلا "نتابع موضوعنا إن شاء الله في الدرس القادم، دمتم في أمان الله".

وكان مما يلقيه الأستاذ يوسف على طلابه "الإيمان بالله".

فقد بدأ الأستاذ يوسف درسه قائلا:

- أود قبل الحديث عن الإيمان يا أصدقاء أن نتكلم قليلا عن الإنسان، تعلمون أن الإنسان مختلف جدًّا عن باقي المخلوقات، فنحن كبشر

نفكر ويدفعنا الفضول ونطرح الأسئلة ونمعن النظر فيما يجري حولنا ونبحث عن أسباب الحوادث، فمسألة كيفية تحول بذرة صغيرة لشجرة كبيرة لا تهم لا الشجرة ولا ما يحط عليها من طيور، لكن الإنسان يدفعه الفضول إلى معرفة كيفية حصول ذلك الذي يشاهده في عجب.

أصدقائي الأعزاء عندما يأتي الإنسان إلى الدنيا يُرسَل مزودا بأجهزة، فيولد بخصائص ترفعه عن الأحياء الأخرى مثل العقل والفضول والإعجاب والمحبة. إن تميز الإنسان عن الحيوان من جهة الخِلقة ومن جهة هذه الإمكانات الرفيعة لدليل صريح جدًّا على أنه أُرسِل إلى الدنيا لغايات مهمة جدًّا، وأعظم تلك الغايات الإيمان بالله، والآن هيا بنا لنتحدث عن سؤال "ما هو الإيمان؟"

وطلب من طلابه أن يشاركوا، ويذكروا آراءهم عن تعريف الإيمان.

فقالت نسيبة:

-هو التصديق يا أستاذنا.

فقال الأستاذ يوسف لها: "جميل!"

وقال علي:

-هو التصديق من القلب بصدق.

فقال الأستاذ "صحيح، الوضع يسير بشكل جيد، مَن أيضا".

فقامت بتول أكثر طلاب الصف قراءة للكتب، وقالت:

-كنت قد قرأت يا أستاذنا في أحد الكتب أنه التصديق بالله من القلب دون أدنى شك.

فقال الأستاذ يوسف "جميل جدًّا"

فرفع مصطفى يده وقال:

-أستاذنا، موضوع الإيمان موجود منذ الإنسان الأول أليس كذلك؟"

-بلى يا مصطفى، موضوع الإيمان موجود منذ الإنسان الأول، فسيدنا آدم عليه السلام الذي هو الإنسان الأول هو في الوقت ذاته النبي الأول، والناس يتعلمون الإيمان من الأنبياء الذين يبيّنون سبب وجوب الإيمان وكيف يجب أن يكون، وليس سوى الأنبياء من يقدرعلى أن يقدم إجابات مقنعة عن الأسئلة التي يتساءلها الجميع مثل: "ما معنى الإنسان؟ ما معنى الدنيا؟ لماذا أُرسِلنا إلى الدنيا؟ ما مهمتنا هنا؟ أين سنذهب بعد الدنيا؟".

وسألت زينب قائلةً:

-كيف يكون الإيمان يا أستاذنا؟ وهل نؤمن فقط من داخلنا؟

عبر الأستاذ يوسف عن سعادته باهتمام الطلاب ومشاركتهم في الدرس قائلا:

-لقد سألتِ عن نقطة مهمة يا زينب. إن الإيمان يحدث بالقلب لكن يُعبر عنه باللسان، فالقلب هو المركز الروحي الذي يستقر فيه الإيمان ويتجذر، أما اللسان فهو الوسيلة التي تعبر عن حالة الإيمان في القلب، والقلب الذي يستقر فيه إيماننا يتمتع ببنية معنوية، وينبغي علينا يا أصدقاء ألا نخلط بين هذا القلب وعضونا الذي هو بحجم قبضة اليد والذي يضخ الدم إلى جسدنا.

لقد عبّرتم عن جوانب الإيمان وخصائصه المختلفة أحسن تعبير، لذا اسمحوا لي أن ألخص جميع ما قلتموه وهو: إن الإيمان يعني التصديق بالقلب والقبول بما جاء به نبينا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم المرسل من عند الله تعالى، والتعبير عن هذا التصديق والقبول باللسان.

وجميع الأنبياء علموا الناس بما أمرهم الله وهو أن يؤمنوا بأن الله موجود وأنه واحد، وقد علمنا نبينا الحبيب (صلى الله عليه وسلم) أيضًا أن ربنا واحد لا شريك له ولا معين. وهذا ما نسميه عقيدة التوحيد، والإسلام هو دين التوحيد.

وقال حسن:

-ما هو التوحيد يا أستاذنا؟ هلا شرحته لنا قليلا؟

- التوحيد يعني أن نوحد الله تعالى، أي أنه قبول وحدانية الله والإيمان بها. فالتوحيد مبدأ مهم جدًّا في ديننا، ويجب على من يعتنق الإسلام أن يقول كلمة التوحيد بصدق وهي "لا إله إلا الله محمد رسول الله" التي تعبر عن التوحيد، في الشق الأول من هذه العبارة نبيّنُ أنه لا إله غير الله، وفي الشق الثاني نبيّن أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو نبي الله، ولا يعتبر الإنسان مؤمنًا ما لم يقل هذه الكلمة على هذا النحو.

وطلب أحمد الحديث قائلا:

-هل يمكنني أن أخبرك يا أستاذنا بحادثة مررت بها نهاية الأسبوع الماضي حول هذا الموضوع؟

- تفضل يا أحمد!

-أستاذنا لقد ذهبت إلى مسجد آيا صوفيا مع أسرتي في عطلة نهاية الأسبوع، حيث صادفت حادثة مثيرة للاهتمام في ذلك المسجد المهيب، إذ قام سائح ألماني شاب اسمه فريدي بالبحث في الإسلام وقرر أن يعتنق الإسلام، وقد جاء إلى إمام مسجد آيا صوفيا مع معارفه المغتربين الذين كانوا جيرانه في مدينة هامبورغ بألمانيا، لقد شهدت أول خطوة له خطاها في الإسلام في حشد كبير بجوار المحراب حيث كان الإمام يؤم المصلين.

قال علي:

-آه ليتني كنت هناك! إنها حقًّا مثيرة للاهتمام.

قال الأستاذ يوسف:

-هل يمكنك أن تحدثنا أكثر يا أحمد؟ كيف حدث ذلك؟

-أستاذنا لقد هنأ الإمام الشاب أولا، وكان أصدقاء الشاب المسلمون يترجمون الحوار بين الشاب والإمام بشكل متبادل، ثم حدّثَ الإمام الشاب عن محاسن الإسلام وسأله عن سبب اختياره للإسلام، فأشار الشاب الألماني إلى أصدقائه الذين بجانبه وقال: "السبب الأكبر هو جيراني وأصدقائي المسلمين في المدرسة، لقد تأثرت كثيرًا بحياتهم الجميلة وكيانهم الأسري وإنسانيتهم وحسن جوارهم وإشفاقهم وعدلهم، ثم بدأت بالبحث عن دينهم، وكلما بحثت أكثر عن الإسلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم أحببت وازددت رغبة في البحث، وبهذه النية جئت لزيارة تركيا، حيث تأثرت كثيرًا بالمساجد والأذان في إسطنبول، واليوم قررت أن أدخل الإسلام والحمد لله".

هنأ الإمام الشاب مرة أخرى ثم حدثه عن أهمية كلمة الشهادة وقال له رددها معنا، حيث نطقنا نحن أيضا كلمة الشهادة فقلنا: "أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله" وقد تأثرت حقا يا أستاذنا، ثم عانق جميعُ الحاضرين هذا المسلم الجديد وهنؤوه. ولست أنسى إلى الآن

دموع السعادة التي انهمرت من عيني ذلك السائح الشاب.

قال الأستاذ يوسف:

-لقد عشتم حدثًا جياشًا بالمشاعر، الحمد لله لقد تشرّف أخ شاب آخر لنا بالإسلام، كم هو جميل!

قال صالح:

-ما معنى التشرّف بالإسلام يا أستاذنا؟

قال الأستاذ يوسف:

-نعم إنه سؤال قوي، أيها الأصدقاء الأعزاء إن الإيمان بالله والقبول به هو الواجب الأول علينا جميعا، لأن هذا هو الهدف الأسمى من إرسالنا إلى الدنيا، ولقد خلق الله تعالى الكون ليعرّفَنا على نفسه ويحبّبنا إليها، وأرسل جميع الأنبياء لدعوة الناس إلى الإيمان.

فبكلمة الشهادة يتعرف الإنسان على الإيمان الذي هو أعظم حقيقة في الكون، فيؤمن بالله ويستسلم له، ويعلم أن كل شيء يأتي منه، وبالإيمان يدرك أن الذي خلقه وأعطاه كل النعم مثل اليد واللسان والعين والعقل والقلب والأم والأب والوطن هو الله، وبذلك تتكون رابطة الإيمان بينه وبين خالقه، وإن رابطة الإيمان هذه أشرف وأسمى قيمة لدينا، فالشرف في الإسلام ليس بالمال أو العرق أو المنصب أو النسب أو الغنى بل الشرف الحقيقي في دين الإسلام هو بالإيمان والإسلام، وهكذا تشرّف فريدي بهذا الشرف.

-كدت أنسى، إن فريدي قال عندما أسلم أنه يريد تغيير اسمه، فقال له الإمام: "كما تشاء يمكنك ذلك" وقال له أيضا: كان سيدنا عيسى عليه السلام قد بشر بمجيء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منذ قرون مضت وأن اسم نبينا صلى الله عليه وسلم في الإنجيل هو أحمد. واقترَحَ

هذا الاسم على فريدي فوافق على اسم أحمد بكل سرور.

قال الأستاذ يوسف:

الإيمان يجعل الإنسان إنسانا كاملا

-لقد اشتركت يا أحمد مع أخينا المسلم الشاب في الدين والاسم.

-نعم يا أستاذنا لقد كان حقا يوما جميلا جدًّا لن أنساه طوال حياتي، وكلما خطر في بالي جامع آيا صوفيا يتبادر إلى ذهني أيضا ذلك المسلم الجديد الذي تسمى باسم أحمد مثلي.

التفت الأستاذ يوسف إلى الصفّ وقال:

-أشكر صديقكم أحمد، لقد شاركنا حدثا ذا مغزى أثر فينا جميعا، لقد بيّنَ لنا بالتجربة كيف يكون جمال الإيمان.

أيها الأصدقاء الأعزاء إن الإيمان مثل الشمس التي تنير ظاهر الإنسان وباطنه الذي كان في الظلام، وبفضل الإيمان يصبح الإنسان إنسانا حقيقيا من خلال تخلّقه بالأخلاق الحميدة التي جسّدها نبينا صلى الله عليه وسلم مثالا للبشرية جمعاء، فيتعلم ما هي الإنسانية وما هي الرحمة وما هي النظافة وما هي التضحية وما هو الوفاء وما هي الأخلاق والأدب، ولا يكتفي بتعلم ذلك بل يطبقه أيضا. وها قد رأيتم! كيف أن الناس الجميلين الذين يعيشون الإسلام في بلد أجنبي ويطبقونه تطبيقا حسنا كيف يؤثرون على الآخرين، إذ يليّنون قلوبهم للإسلام، وأعتقد أنه ينبغي علينا أيضا أن نهنئ جيران ذلك الشاب الألماني وأصدقاءه المسلمين المغتربين، لأن جمال الإسلام الذي عاشوه وحقيقته وجدت صدى في القلوب.

استأذنت نسيبة بالكلام وقالت:

-أستاذنا هل للإيمان أنواع ودرجات؟

خيّم على الفصل بأكمله سكون وكأن على رؤوسهم الطير مترقبين الإجابة عن هذا السؤال، فما كان إلا أن رنَّ جرس الاستراحة واختتم الأستاذ يوسف الدرس بالقول: "أيها الأصدقاء إذا أردتم فلنجب على هذا السؤال الجميل في درسنا يوم الأربعاء".

المعرّفون الثلاثة العظماء الذين عرّفونا بربنا

أخذ الطلاب حقائبهم وغادروا الصف بهدوء، وتحدث بعض الطلاب فيما بينهم واتجهوا نحو المكتبة الموجودة مقابل المدرسة، وعندما دخلوها وجدوا العم عمر على عادته جالسا إلى الطاولة يقرأ كتابا، وكانت "قارتانه" هناك أيضا بحلاوتها المعتادة.

استقبلهم العم عمر بابتسامة قائلا:

-مرحبا بكم يا شباب.

كانت هناك زهور عطرة في مزهرية ملونة على طاولة العم عمر، وبينما كان علي على وشك أن يطلب من جده الإذن بشم الزهور في المزهرية اصطدم بها عن طريق الخطأ، لتنقلب المزهرية على الطاولة. لم تنكسر المزهرية ولكنها أحدثت صوتا قفزت "قارتانه" على إثره إلى حضن العم عمر قائلة "ميو"، والتفت الجميع ينظرون إلى علي، وضحك الشباب جميعا عندما رأوا علي ينظر إلى جده منصدما، وقال بوجهه المبتسم المعتاد:

- يا جدي أنا آسف لقد تعثرت.

قال العم عمر بنبرة متفهمة:

-لا عليك يا علي أحيانا تحدث مثل هذه الأشياء، كلنا بشر ولا بد أن نقع في بعض الأخطاء، المهم هو الإنسانية، وتبادلنا الاحترام والحب، إذ المسلم يُحبّه الناس لطيب لسانه ووجهه المتبسم وتفهمه، وقد قال أجدادنا: "من يطلب الكمال في صديقه لا يجد صديقا".

نعم كيف حالكم يا شباب هل أنتم بخير؟ ما شاء الله أراكم بخير، كيف تسير الدروس؟

قال حسن:

-الحمد لله يا عم عمر إنها تسير بشكل جيد جدًّا، ففي الدرس الأخير ناقشنا موضوع الإيمان بالله، وعندما أدركنا أهمية الإيمان تناقشت مع الأصدقاء عن "أي نوع من الكتب يمكننا أن نقرأ عن هذا الموضوع؟" وجئنا إلى هنا.

قال العم عمر:

-أولا وقبل كل شيء أهنئكم يا شباب، وأود مساعدتكم، فالإنسان الذي

يعلم أهمية الإيمان القوي ويدركه يتساءل أيضا كيف يقوي إيمانه، حيث إن الغاية من خلقنا هي الإيمان بالله وعبادته، وحقيقة نحن بحاجة إلى تقوية إيماننا، وهناك ثلاثة معرّفون عظماء للإيمان يعرّفوننا بربنا، وبادئ ذي بدء يجب علينا أن نتعرف عليهم ونفهمهم ونعلم حقيقتهم.

قال إبراهيم:

-من هم أولئك المعرّفون يا عم عمر؟

-أول هؤلاء الثلاثة العظماء الذين عرّفونا بربنا؛ هو كتاب الكون، والثاني نبينا صلى الله عليه وسلم، والثالث القرآن الكريم.

إن الكون مثل كتاب يعرفنا بربنا بكل ما فيه ويجعلنا نحبه، وعلينا أن نقرأ كتاب الكون ونتمعن فيه، وعلينا أن ننظر إلى كل شيء في الكون نظرة المعتبر ونستخرج منه الدروس كما أرشدنا ربنا في القرآن الكريم وكما علمنا نبينا الحبيب من خلال تطبيقه، نحن نسمي هذا الفعل من التفكير الشامل بـ"التفكّر"، هل تودّون أن أحدثكم يا شباب عن أحد أمثلة التفكر المذكورة في القرآن؟

قال الشباب بصوت واحد جماعي "نعم!".

قال إبراهيم:

-عم عمر، هل يمكن أن يكون هذا المثال من التفكر ذا صلة بحياة أحد الأنبياء؟

في هذه الأثناء رأى موظفو المكتبة أن الحديث قد تعمّق، فجاءوا بالشاي الساخن والمكسرات إلى الطاولة، وشكر العم عمر الموظفين وطلب منهم تقديم الشاي أولا للشباب الذين سيكونون عظماء المستقبل، ثم واصل كلامه على النحو التالي:

-حسنا، لم لا يا إبراهيم! أولا تناولوا المكسرات مع هذا الشاي الطازج، مثالنا يتعلق بحادثة عاشها سيدنا إبراهيم عليه السلام.

التفت مصطفى إلى صديقه إبراهيم وقال بهدوء:

-انظر يا إبراهيم، هو حدث يتعلق باسمك.

قال العم عمر بنبرة رقيقة:

يا شبابنا الأعزاء لقد كان سيدنا إبراهيم شابا مثلكم، ولم يكن الإيمان بالله معروفًا في الزمن الذي عاش فيه، وكان الناس يعبدون الأصنام، وكان سيدنا إبراهيم يرى عبادة الأصنام لا تتفق مع العقل، وكان يبحث عن ربه، وفي إحدى الليالي رأى كوكبا في السماء، وبدأ يفكر "هل يمكن أن يكون هذا ربي؟"، وعندما رأى بعد مدة أفول ذلك الكوكب وغيابه في السماء قال: "لا أحب الآفلين، هذا الكوكب لا يمكن أن يكون ربي"، ثم رأى القمر بازغا في السماء، ففكر مليا وقال "يا تُرى هل يمكن أن يكون هذا ربي؟"، ثم في الصباح أدرك أنه أيضا قد غرب وأفل، فقال "والقمر أيضا لا يمكن أن يكون ربي"، ودعا الله عز وجل "يا رب، إهدني الطريق الصحيح وإلا فلن أجده".

قال علي بحماس:

-وماذا حدث يا جدي هل استطاع سيدنا إبراهيم أن يجد الله بعد الدعاء؟

قال العم عمر:

-نعم يا علي، إنك عجول على عادتك، والآن كنت على وشك أن أقول ذلك، نعم في الصباح وعندما أشرقت الشمس وبزغت، فكر إبراهيم عليه السلام: "الشمس كبيرة جدًّا هل يا تُرى يمكن أن تكون ربي؟"، وعندما رأى أنها كانت أيضا تغرب في المساء أدرك أن الخالق العظيم لا بد أن يكون له خصائص لا تغرب ولا تتلاشى ولا تزول ولا تفنى، ووجد الله قائلا: "إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ".

قال مصطفى:

-كم هو جميل! لقد سعى إبراهيم عليه السلام ليجد ربه من خلال قراءة كتاب الكون، وبهذا التفكر علّمنا ما هي الصفات التي يجب أن يملكها الإله الحقيقي.

قال علي:

-جدي هناك أناس في العالم لا يؤمنون بوجود الله، كيف ننظر إليهم؟

-نعم هذا سؤال جيد أيضا، يا شباب نحن جميعا في امتحان واختبار، ولقد أعطانا ربنا الحرية في أن نؤمن أو لا نؤمن، وكان هناك من نظر إلى آثار الله ووجده كإبراهيم عليه السلام ومن تبعه، ولكن كان هناك أيضا

من لم يؤمن بالله بأعذار مختلفة، ولقد أعطى ربنا الإنسان العقل وأعطاه الحياة لفترة معينة من الزمن، ووضع أمامه ما يملأ الدنيا من آثاره ونِعَمِه وإكرامه، وتركه لإرادته الحرة، وعندما ينظر الإنسان بعقله وضميره يعلم أنه حتى إبرة الخياطة العادية لا يمكن أن تأتي إلى الوجود من تلقاء نفسها، بل لابد لها من صانع يصنعها.

يا شباب نحن لا نقول "الله موجود" لأن الجميع يؤمنون على هذا النحو بوجود الله ، بل نحن نقول "الله موجود" لأنه موجود حقا، ونثبت ذلك، حيث نؤمن بوجود الله بالأدلة، ومن السهل جدًّا إثبات وجود شيء موجود.

قال مصطفى في شيء من الذهول:

-لم أفهم تماما يا عم عمر.

أخرج العم عمر معجم المصطلحات من الرف الجانبي وناول مصطفى إياه قائلا له:

-مصطفى، هل يمكنك أن تجد مصطلح "الله" في هذا المعجم؟

وعلى الفور وجد مصطفى مصطلح "الله" من الحرف "أ" وقال: "لقد وجدته يا عم عمر إنه في الصفحة الثامنة".

قال العم عمر:

-لقد وجدتَ مصطلح "الله" بسهولة لأنه موجود في ذلك المعجم، والآن حاول أن تثبت لنا أن مصطلح الله غير موجود في نفس المعجم.

قال مصطفى:

-هذا صعب للغاية يا عم عمر، يجب عليّ في هذه الحالة أن أبيّن أن هذا المصطلح غير موجود في جميع الصفحات واحدة تلو الأخرى.

-نعم يا شباب، من السهل إثبات وجود شيء موجود ولكن من الصعب إثبات عدم وجوده، فنحن المسلمين نستطيع بسهولة إثبات وجود الله ولكن غير المؤمنين لا يمكنهم إثبات عدم وجود الله.

أخذ العم عمر الشباب نحو باب المحل مشيرا إلى الشمس التي ينعكس ضوؤها من الخارج:

-يا شباب، إذا أغمض بعض الناس أعينهم عن الشمس في النهار فهل تختفي الشمس؟

قال الشباب:

-لا، هؤلاء فقط هم من لا يرون الشمس، ولكن الشمس موجودة.

التفت العم عمر نحو علي وقال:

-هو ذا يا علي، أولئك الذين لا يؤمنون يغمضون أعينهم عن الله الذي يتجلى وجوده مثل الشمس.

هل للإيمان درجات؟

كان يوم الأربعاء، وكان الدرس درس الأستاذ يوسف على العادة، وكعادته سأل الأستاذ يوسف الطلاب عن أحوالهم، ثم التفت إلى نسيبة التي طرحت سؤالا في الدرس السابق:

-نسيبة، لقد طرحت سؤالا في الدرس الماضي، ولم أستطع الرد؛ لأن الجرس رن، ذكّري الصف بالسؤال لو تسمحين.

-أستاذنا، أنا سألت هل للإيمان أنواع ودرجات؟

قال الأستاذ يوسف: "الجو مشمس، دعونا نجيب على هذا السؤال إن شئتم تحت شجرة الدلب في الحديقة"، وأخرج الفصل بأكمله إلى الحديقة، كانوا في شهر أكتوبر تشرين الأول، ولكن كانت هناك أيام متبقية من الصيف، جلسوا في الكاميليا وبدأوا يتحدثون، وكانت تنتظر الشباب مفاجأة في الكاميليا، كانت هناك حوالي عشرين تفاحة شديدة الحمرة وناضجة وكبيرة الحجم في صينية جميلة.

قال الأستاذ يوسف:

- دعونا أولا نأكل من هذا التفاح ثم نتحدث عن أنواع الإيمان التي تنشأ عن درجاته المختلفة. عزيزي سعيد، لقد غسلتُ التفاح هلّا قدّمته لأصدقائك؟ وأخذ عريف الصف سعيد الصينية وقدمها لأصدقائه، حيث أخذ كل واحد منهم تفاحة واحدة منها.

قال الأستاذ يوسف:

-هيا، بسم الله يا شباب، تفضلوا!

بدأوا في أكل التفاح، وشكر جميع الطلاب معلمهم، وخاصة علي حيث قال: "التفاح لذيذ حقّا يا أستاذنا".

وبينما كان الأستاذ يوسف يأكل تفاحة قال:

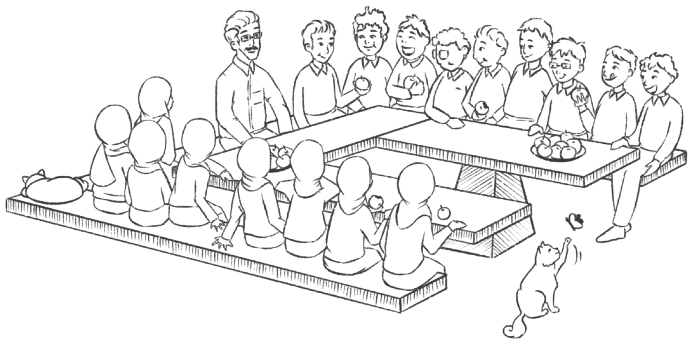

-بالهناء والشفاء يا شباب، لقد أنعم ربنا علينا جميعا بهذه التفاحات وإنما نشكره هو، ولديّ طلب واحد منكم فقط، عندما تنتهون من تناول التفاح أخرجوا البذور منها ولا ترموها.

وعندما انتهوا من أكل التفاح عادوا إلى الدرس، وأخرج الأستاذ يوسف من تفاحته خمس أو ست بذور وطلب من الطلاب أن يخرجوا بذور

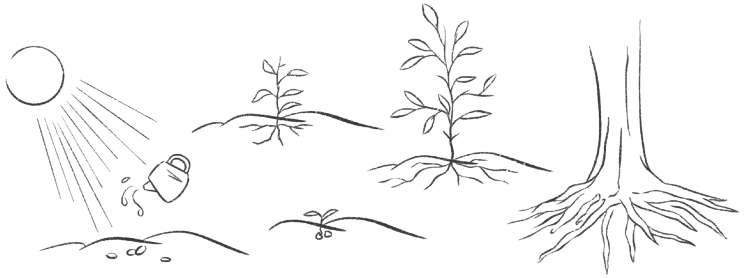

تفاحاتهم أيضا، فصار في كفّ كل واحد بذور داكنة.

-يا شباب، نحن نتحدث عن درجات الإيمان المختلفة، ويمكن لبذور التفاح أن ترشدنا في هذا الموضوع، دعونا نفكر في الأمر بالطريقة الآتية، إذا وضعنا أي بذرة تفاح لدينا في التربة مراعين ظروفا مناسبة فسوف تنبت البذرة أولا في التربة، وبعد فترة تنمو فوق سطح التربة ثم تصبح شتلة، وعندما تنمو أكثر قليلا يشتد عودها، وفي النهاية تصبح شجرة تفاح كبيرة ذات ثمر وظل، وفي الحقيقة كل هذه الدرجات هي مراحل شجرة التفاح.

أيها الأصدقاء الأعزاء، كما أن هناك درجات ومراتب بين بذرة التفاح وشجرة التفاح فإن هناك العديد من الدرجات والمراتب في الإيمان كذلك، ويستطيع الإنسان أن ينمّيَ إيمانه ويقوّيَه بسعيه واجتهاده.

عزيزتي نسيبة أريد أن أسألك سؤالا، أيهما أصعب؟ قلع شتلة تفاح دقيقة من التربة أم قلع شجرة تفاح متجذرة وضاربة في الأرض؟

-بالطبع قلع شجرة التفاح من مكانها هو الأصعب يا أستاذنا.

-هذا صحيح، ليس من السهل قلع شجرة كبيرة؛ لأن جذورها في عمق الأرض، وكذلك كلما قوي الإيمان استقر في أعماق كيان الإنسان الروحي، ويرسخ بحيث لا يمكن قلعه، ولننظر في شجرة الدلب التي نجلس تحتها، إن جذورها ممتدة في كل اتجاه، هل يمكن قلع مثل هذه الشجرة بسهولة؟

قال مصطفى:

-أستاذنا، هل ينقسم الإيمان إلى أنواع حسب درجات النمو هذه؟

-نعم إنه كذلك، إذ ينقسم الإيمان إلى قسمين بحسب درجات النمو، والإيمان في الأصل نوعان: إيمان ضعيف وإيمان قوي، ودعوني أشرح لكم ذلك بمثال لكي نفهم الإيمان الضعيف والقوي فهما أفضل.

يا أعزائي إذا أتت إلى السوق كمية كبيرة من البضائع المختلفة لرجل غني فيمكننا أن نفهم أنها لذلك الرجل بطريقتين، الأولى من خلال نظرة سطحية بأن نقول: "إن هذه البضائع إن كانت لأحد فليست إلا لذلك الشخص الغني، ولا يمكن أن تكون كل هذه البضائع لغيره"، فالتفكير بهذه الطريقة هو تفكير سطحي.

قال صالح:

-لكن يا أستاذنا، ألا تكون هذه النظرة نظرةً عمومية؟

-صحيح، فهذه النظرة نظرة إلى المظهر وتعطي حكمًا عامّا، لأنه قد يقول قائل لمن يفكر هكذا: "إن البضائع التي تراها ليست لهذا الشخص بل لفلان"، أو يقول "بعض هذه البضائع لشخص آخر"، فإن صاحب تلك النظرة السطحية سوف يرجع عن رأيه على الفور ويقول: "هذا ممكن!"، لأنه ليس لديه أي دليل.

قال صالح:

-إذن ما هي الطريقة الثانية يا أستاذنا؟

-الطريقة الأخرى هي طريقة التمعن والبحث، ويلاحظ الشخص الذي يستخدم هذه الطريقة شعار مالك السلعة على كل سلعة؛ ويرى شعار ذلك الشخص فيتعرف على صاحب السلعة، وبهذه الطريقة يفهم على وجه اليقين أن كل سلعة من تلك السلع ملك لذلك الشخص، ولا يشك أبدا في أن "هل هذا حقا ملكه؟"، وإذا قام شخص ما ليضلّه ويوقع في نفسه الشك فإنه يشير على الفور إلى شعار ذلك الشخص ويثبت أنها له قائلا: "هذه البضاعة وكل شيء هنا يحمل شعاره من الأصغر إلى الأكبر، إذن فهذه البضائع كلها له".

والإيمان كذلك يا أصدقائي الأعزاء على نوعين من حيث الدرجة، الأول: الإيمان المكتسب دون البحث في وجود الله ووحدانيته، أي قبول وجود الله ووحدانيته من خلال الوالدين والأقارب والمحيط وسماعهم وتقليدهم، وهذا ما يسمى بالإيمان المكتسب من خلال التقليد، وهو ضعيف، لأن الشخص بهذا المستوى من الإيمان يقول: "الله موجود وهو واحد" وهو لا يشعر بالحاجة إلى التحقيق بل يأخذه على ما هو عليه، ومن السهل على الشخص الذي يتمتع بهذا المستوى من الإيمان أن يقع في الشكوك.

رفع إبراهيم يده وقال:

"في هذا النوع من الإيمان هل يمكن للمرء أن يثبت إيمانه يا أستاذنا؟"

-سؤال جيد، للأسف يا أصدقاء في هذه الحالة لا يمكن للمرء أن يثبت أن الله هو مالك كل شيء وخالقه؛ لأنه ليس في الإيمان المكتسب عن طريق التقليد بحث ودراسة، ولهذا السبب يمكن لمثل هذا الشخص أن

يقع في الشك بسهولة.

نعم يا شباب لقد فهمنا الآن الإيمان الذي تعلمناه من البيئة من خلال التقليد، لذلك دعونا نحاول الآن أن نكتشف معا خصائص الإيمان القوية من حيث الدرجة.

فاستأذن عريف الصف سعيد للكلام وقال:

-وبناءً على ما قلته لنا يا أستاذنا، فإن الإيمان القوي يحتاج إلى بحث وتساؤل وتمحيص، أليس كذلك؟

-بلى هذا صحيح.

قالت بتول:

-إذن من خلال البحث والتساؤل والتمحيص سنجد يا أستاذنا أدلّةً على وجود ربنا ووحدانيته، أليس كذلك؟

قال الأستاذ يوسف:

-جميل جدًّا، بدأت خصائص الإيمان القوي بالظهور، بلى أيها الأصدقاء الأعزاء، في الإيمان القوي لا بد من البحث في المقام الأول، ويمكن التوصل إلى وجود الله ووحدانيته من خلال البحث، وكل من يصل إلى هذه الدرجة من الإيمان القوي يعلم يقينًا أن الله مالك كل شيء؛ لأنه لديه أدلة، وبهذه الأدلة يصدق تصديقا قاطعا أن الله هو الذي يخلق جميع الكائنات ويديرها، ويلاحظ ويرى ويفحص أدلة الله على جميع الخلق، فهو يؤمن دون أدنى شك، فأينما ينظر هذا الشخص فإنه يرى ويُظهر أنه ملك لله، والذي يصل إلى هذا المستوى من الإيمان لا يقع في شك؛ لأنه يملك إيمانا لا يتزعزع، هذا الإيمان يستقر ويتجذر في قلب المرء كلما ازداد قوة، ومن الصعب جدًّا هزّه.

قالت عائشة إحدى الطالبات الهادئات في الصف:

-هل يمكنك أن تشرحوا لنا يا أستاذنا أكثر عن استقرار الإيمان في قلوبنا؟ هل من أمثلة أخرى يمكننا تقديمها عند شرح هذا الموضوع لشخص آخر؟

قال علي:

-نعم يا أستاذنا أنا أيضًا أشعر بالفضول بشأن سؤال عائشة، وأتمنى أن يكون إيماننا قويًّا جدًّا ومتجذرًا فينا ولا يتركنا أبدًا، حتى لا نقع في الشكوك.

قال الأستاذ يوسف:

-أحسنت القول، ففكرة مساعدة الآخرين في هذا الصدد سلوك جميل، تصوروا يا أصدقائي كالآتي: الإيمان هو كغذاء روحي تحتاج إليه قلوبنا، دعونا نفكر في التفاح الموجود في تلك الصينية! عائشة التقطي تفاحة لنرى، هل يمكن لأحد الآن أن يأخذ تلك التفاحة من يدك بالقوة بأي وسيلة؟

قالت عائشة:

-نعم يا أستاذنا، يمكنه أن يأخذها بالقوة.

قال الأستاذ يوسف:

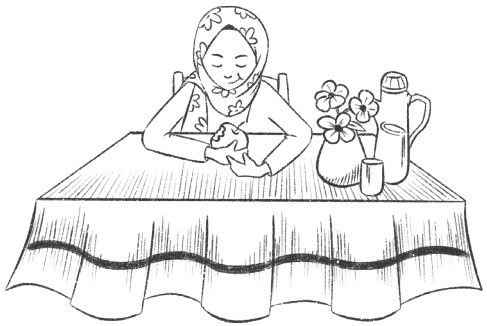

-صحيح هذا ممكن، حسنا والآن إذا أكلت تلك التفاحة وهضمتها واختلطت بدمك وانتشرت في خلاياك، فهل يمكن لأي أحد أن يأخذ هذه التفاحة منك؟

قالت عائشة:

-لا، لا يستطيع يا أستاذنا! لا أحد يستطيع أن يأخذ مني هذه التفاحة التي هضمتها والتي أصبحت جزءًا مني الآن.

قال الأستاذ يوسف:

-هكذا يكون الإيمان القوي، الإيمان القوي يستقر في أعماق قلب الإنسان، وهناك يتجذر ويتصلب مثل شجرة الدلب، فلا يمكن لأحد أن ينزع من الإنسان إيمانًا قويًّا يعلم أدلته ويعيشه بكل مشاعره.

قال علي الذي أعجبه المثال المقدم كثيرًا بحماس:

-نعم يا أستاذنا، لا أحد يستطيع أن ينتزع مثل هذا الإيمان من قلوبنا بإذن الله.

قال سعيد بنبرة حازمة:

-أستاذنا، أنا الآن أفهم بشكل أفضل لماذا يشك بعض الناس في مسائل الإيمان، وعندما يكون إيماننا ضعيفا فإننا نتأثر على الفور، لذلك يجب عليّ أن أعمل على تقوية إيماني أكثر.

أومأ الأستاذ يوسف برأسه موافقا سعيدا على ما قاله ثم قال:

-أيها الأصدقاء، إن الإنسان القوي الإيمان يستطيع أن يرى وجود الله ووحدانيته في كل ما ينظر إليه، وعلى سبيل المثال دعونا ننظر إلى مدرستنا التي أمامنا! لقد مضى أكثر من قرن على بنائها، ولم نر أو نلتق بالمهندس الذي بنى هذا المبنى، لكننا على يقين تام أن هناك مهندسًا هو الذي خطط وبنى هذا المبنى، أليس كذلك؟

قال الشباب:

-بلى يا أستاذنا! كيف يمكن لهذا المبنى الجميل أن يُبنى من تلقاء نفسه؟

-هذا صحيح يا أصدقاء، لا يمكن لأحجار هذا المبنى المقصوصة أن

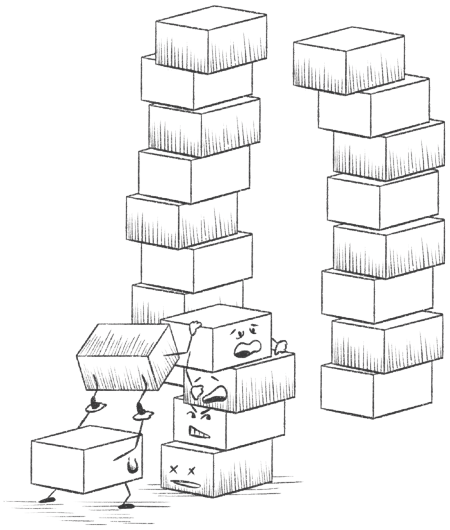

تجتمع من تلقاء نفسها لبناء هذا المبنى، وقد بَنى هذا المبنى الجميل الفسيح رجلٌ يعرف البشر ويعلم أن هذا المبنى سيسكنه بشر، وهو ليس من جنس المبنى، وبعلمه قام أولا بوضع الأساس ثم بنى الجدران وأخيرًا السقف، وعلى الرغم من أننا لا نرى مهندس المبنى إلا أننا يمكننا العثور على خصائص المهندس بناءً على خصائص هذا المبنى، ويمكننا أن نفهم الجوانب المختلفة منه.

هل ننظر إلى التفاحة؟ أم ننظر من خلال التفاحة؟

واستمر الدرس بكل حرارة، وطلب سعيد التحدث مرة أخرى وقال:

-أستاذنا، هل يمكننا أن نقوم بتمرينِ تفكُّرٍ آخر يقودنا إلى الإيمان القوي؟

قال الأستاذ يوسف:

-بكل تأكيد! على سبيل المثال "دعونا نفكر في التفاحة التي نأكلها! الشخص ذو الإيمان القوي يمعن في التفاحة ويدرك أن هناك أشياء مثل الشكل واللون والرائحة والطعم تؤثر في أذواق الناس ومشاعرهم، ألم نلاحظ جميعًا هذا عندما كنا نأكل التفاح للتو؟ تفاح كبير الحجم، جميل المنظر، كثير العصارة، زكي الرائحة، لذيذ... ثم يبدأ الإنسان في البحث في مصدر هذه المزايا في التفاح ويقول: "إنما يخلق هذه المزايا في التفاح من يحب الإنسان ويعرفه"، مثلا إنما يعطينا التفاح من يعرف

حاجتنا للفيتامين. ثم ينظر إلى التربة والماء والهواء والأشجار التي هي عوامل في تكوُّن التفاحة، ويتساءل: هل هذه العوامل قادرةٌ حقًّا على التفكير في المزايا التي نراها في التفاح والتخطيط لها؟ "هل تتمتع بمثل هذه الموهبة؟" ويبحث عن جواب هذا السؤال، ونتيجة لهذا التمحيص يدرك أن شكل التفاحة وطعمها اللذيذ ورائحتها الزكية لا يمكن أن تنشأ من شجرة أو تربة أو أسباب أخرى تفتقر إلى العلم والوعي والشعور.

توقف الأستاذ يوسف قليلا ليجذب انتباههم وتابع كلامه:

-أيها الأصدقاء هناك اختلاف في طرق النظر مهم جدًّا، فالنظر إلى التفاحة والنظر من خلال التفاحة أمران مختلفان، فهنا نوعان من طرق النظر، فإذا نظرتم فقط إلى التفاحة فسوف ترون خصائصها المادية دون التفكير في من خلقها، وتتحدثون عن الفيتامينات المفيدة الموجودة في التفاحة، ولا يخطر على بالكم كثيرًا من وضع تلك الفيتامينات المفيدة في التفاحة، فلا يمكنكم أن تدركوا الله الذي خلق التفاحة وأكرمنا بها إدراكا كاملا، في حين أنكم عندما تنظرون من خلال التفاحة فإن التفاحة تصبح شيئًا وتتساءلون عن فاعل هذا الشيء وصانعه. وعندما تنظرون من خلال التفاحة تصبح التفاحة تحفة فنيَّة، وتبحثون عن فنانها، وتتساءلون: "من علق لنا هذه الفاكهة الجميلة على الأغصان؟ من زينها من الداخل والخارج وفق مشاعرنا؟ "من الذي ملأ التفاحة بالفيتامينات العلاجية والمفيدة التي نحتاجها؟" ثم تتحدثون عن فاعل هذه الأفعال التي في التفاحة. وبهذه الطريقة من النظر تدركون أن شكل التفاحة الجميل ومذاقها الطيب ورائحتها الزكية وطعمها اللذيذ إنما يصنعها الله الذي يعرفنا ويرأف بنا، وبهذه النظرة لا تقولون "ما أجمل التفاحة!" بل تقولون: "ما أجملَ خلق التفاحة وما أجملَ خلقها من أجلنا!"، وبالتالي ستدركون أن جمال التفاح وفوائده لا يأتي من التربة أو الماء أو الهواء بل من الله مالكه الحقيقي، وعندها ستصلون إلى وجود ربنا الرحيم الكريم العليم القدير الذي أكرمنا بجميع النِعَم مثلما أكرمنا بالتفاح.

قال علي من شدة سعادته لتعلم شيء جديد:

-أستاذنا، هل يمكنني أن أخبرك شيئًا عن هذا الموضوع؟ أعتقد أنه سيُسهم في الدرس..

هز الأستاذ يوسف رأسه وقال:

-تفضل يا علي!

-صنعت أمي كعكة جميلة لأختي التي تصغرني بسنة واحدة خلال عطلة نهاية الأسبوع، وكان جدي قد جاء لزيارتنا في البيت، وكانت الكعكة لذيذة جدًّا مع شوكولاتة في داخلها وكريمة من الخارج ومزينة بالفراولة في الأعلى.

قال مصطفى:

-علي أرجوك لا تفعل! أنت تصف الكعكة بطريقة تجعل أفواهنا يسيل لعابها.

-عذرًا يا أصدقاء، أنتم محقون لكن يجب أن أشرح الأمر بهذه الطريقة، لقد صنعت أمي هذه الكعكة تاركة جميع أعمالها، وبينما كنا على وشك تناول الكعكة قال جدي: "هل يمكنكما الانتظار قليلا من فضلكما؟" فقلنا وشوكةُ كلٍ منّا في يده وأعيننا على الكعكة وأفواهنا تسيل "أوه، يا جدي!" فسأل جدي أختي سؤالا:

-حفيدتي الجميلة، هل يمكن أن يكون الشخص الذي صنع هذه الكعكة الجميلة وقدمها لك لا يحبك؟!

نظرت أختي إلى أمي وقالت:

-جدي العزيز، أيمكن هذا؟ أمي بالطبع تحبني كثيرًا.

قال جدي:

- جميل جدًّا، لقد صنعت أمك هذه الكعكة بالطريقة التي تحبينها تمامًا لأنها تحبك بالفعل وتهتم بك، أليس كذلك؟

-بلى يا جدي.

-حفيدَيَّ العزيزَين، لقد جعلتكما تنتظران لبعض الوقت لكي يرسخ الأمر في ذهنيكما، سامحاني! والآن أريد أن أشارككما درسًا في الحياة أتمنى ألا تنسياه أبدًا، دعونا نفكر بهذه الطريقة: هل إذا قلتما "ما أجمل الكعكة" تتذكران أمكما التي صنعت الكعكة أكثر؟ أم إذا قلتما "ما أحسن ما صنعت أمنا لنا هذه الكعكة؟" تتذكرانها أكثر؟

أجبت أنا وأختي:

-بالطبع في الثانية يا جدي.

قال جدي:

-حفيدَيَّ الذَّكيّين، إن النظرة الثانية مختلفة تمامًا، بهذه النظرة تفهمان حنان أمكما الحنونة وحبها لكما وحقيقة أنها خصصت وقتا لصنع هذه الكعكة الجميلة لكما، وعندما تقولان "ما أجمل الكعكة أو لقد صنعت الكعكة جميلة" فإنكما لا تفكران كثيرا فيمن صنعها، ولكن عندما تقولان: "لقد أُعِدَّت الكعكة بشكل جميل تماما كما أردتها أن تكون" فإنكما لا تزالان تتذكران أمكما التي صنعت هذه الكعكة لكما، هيا تفضلا "بسم الله"، ونشكر أمكما ونأكل هذه الكعكة الجميلة، وبعد ذلك سأقدم لكما الهدايا التي أحضرتها لكل واحد منكما والتي أعتقد أنها ستعجبكما كثيرًا، ثم قال "سأخبركما في وقت آخر إن شاء الله كيف تستخدمان طرق النظر هذه عند التفكُّر في الكون".

أستاذنا، الآن أفهم بشكل أفضل مع مثال التفاح هذا أن جدي أراد أن

يخبرنا بالفرق بين طريقة النظر إلى الكعكة والنظر من خلال الكعكة.

قال الأستاذ يوسف مبتسمًا:

-علي، أعلم جيدا أن جدكما يحبكما كثيرًا، ولعله يريد أن يصل إلى شيء آخر؟

قال علي بشيء من الدهشة:

-مثل ماذا يا أستاذنا؟

قال الأستاذ يوسف:

-على سبيل المثال أن يخبركم بالفرق بين النظر إلى الهدية والنظر من خلال الهدية.

ضحك علي بحماس وقال:

-نعم، كلامك صحيح جدًّا، لم أفكر في ذلك قط!

قال سعيد الذي كان يستمع إلى الدرس في انتباه:

-إن وجهة النظر هذه مختلفة جدًّا حقًّا يا أستاذنا، هي نظرة توصل الإنسان إلى الخالق، نشكرك جزيل الشكر.

كان الدرس على وشك الانتهاء وبقي القليل من الوقت حتى يرن الجرس.

قال الأستاذ يوسف:

-أيها الأصدقاء، لدي خبر جميل لكم غدًا.

قال الشباب بفضول:

-ما هذا الخبر الجميل يا أستاذنا؟

قال الأستاذ يوسف:

-أعملوا عقولكم حتى الغد وفكروا، وسوف أعلن هذا الخبر في صفكم عندما تأتون إلى المدرسة غدًا.

عاد الشباب إلى منازلهم وهم يفكرون "ما هو الخبر الذي يحمله الأستاذ يوسف غدا يا تُرى؟"، كان الفضول يدفعهم حقًّا لمعرفة ذلك، ماذا سيقول الأستاذ يوسف الذي كان أيضًا مدرس التوجيه في الصف؟ لقد أرادوا أن يعرفوا هذا لكنهم لم يستطيعوا الوصول إلى نتيجة، وقد تواعد بعض الطلاب على الاجتماع في المكتبة المقابلة للمدرسة بعد العودة إلى المنزل وتناول الطعام، كما عادت عائشة إلى المنزل وألقت التحية على والدتها، وخلعت زيها المدرسي، وبدأت بعد أن سمّت الله بتناول بسكويت التفاح الطازج الذي أعدته والدتها وقد خرج للتو من الفرن، وعندما رأت هذا البسكويت تبادر إلى ذهنها مثال النظر إلى التفاحة والنظر من خلال التفاحة، وقالت لأمها: "يا أمي، لقد خرج البسكويت جميلا جدًّا من يديك، سلمت يداك!".

قالت أمها:

-بالهناء والشفاء يا ابنتي، كيف حالك وكيف قضيت يومك؟ وبدأ الحديث بينهما. وقد كانت أمها تسألها كلما رجعت من المدرسة فتقول: "هل طرحت أسئلة على معلميك اليوم يا ابنتي؟"، ثم تقول: "يا ابنتي الجميلة، إذا لم تكن هناك أسئلة فلن تكون هناك إجابات، من المهم جدًّا طرح أسئلة في محلها، ثم قالت بنغمة عذبة: ما أجمل ما قال أجدادنا: "أنى له أن يعلم وهو لا يسأل، ولو علم لسأل، وأنى له أن يسأل وهو لا يعلم، ولو سأل لعلم"

فردت عليها عائشة هذه المرة قائلة: "نعم، لقد سألت يا أمي" ولخّصَتْ درس الأستاذ يوسف سريعا لأمها وأخبرتها بحماس بما تعلمته في المدرسة.

-أمي، أستاذنا سيخبرنا بخبر جميل غدًا، والفضول يدفعني جدًّا لمعرفته، ما هذا الخبر يا تُرى؟ كنت أنا وأصدقائي نشعر بالفضول بشأن هذا الخبر الذي سيخبرنا به الأستاذ.

قالت أمها:

-الفضول جميل، ولكن الصبر جميل أيضًا يا ابنتي، فكوني صبورةً، آمل أن يخبركم معلمكم بالخبر غدًا، وسوف تشعرون بالارتياح أيضًا.

قالت عائشة:

-أمي، إذا سمحت، فقد اتفقت أنا وزملائي في المدرسة على أن نلتقي في الساعة الرابعة في المكتبة المقابلة لمدرستنا.

قالت أمها:

-حسنًا يا ابنتي، لا بأس إذا ذهبت وعدت دون أن تتأخري.

"قارتانه" مُدَلَّلَتُه

كانت عائشة تريد الذهاب إلى المكتبة وتريد خصوصًا أن ترى قارتانه، وقد التقوا في المكتبة في الساعة الرابعة، ووصلت فاطمة ونسيبة وزينب وبتول في الوقت المحدد تمامًا كما اتفقوا، كانت المكتبة هادئة، وكانت قارتانه -التي هي من أساسيات المحل الدائمة- تحيي القادمين عند الباب، حيث بدت أكثر بياضًا اليوم، وكانت أشعة شمس العصر تزيدها لمعانًا كلما ضربت شعرها، وعندما وصل الشباب المكتبة وجدوا أيضًا أستاذهم الأستاذ يوسف أمامهم، حيث كان معلمهم منغمسًا في محادثة عميقة مع العم عمر، فألقى الشباب التحية، وكانت عائشة هادئةً لكنها كانت ماهرة جدًّا في طرح الأسئلة الصائبة، فلما كانت المكتبة هادئة ومعلمها حاضرا فيها أرادت أن تطرح سؤالا كان يدور في ذهنها منذ فترة طويلة. فقالت فجأة:

-عم عمر، هل لي أن أسألك سؤالا؟

-تفضلي يا ابنتي عائشة.

-لماذا سميت قطتك قارتانه؟

ابتسم العم عمر وقال:

-صحيح أنتِ على حق، إنك تتساءلين لماذا سميتها قارتانه وليس لؤلؤة أو قطن، الأستاذ يوسف يعرف أيضًا جواب هذا السؤال، ولكن لا

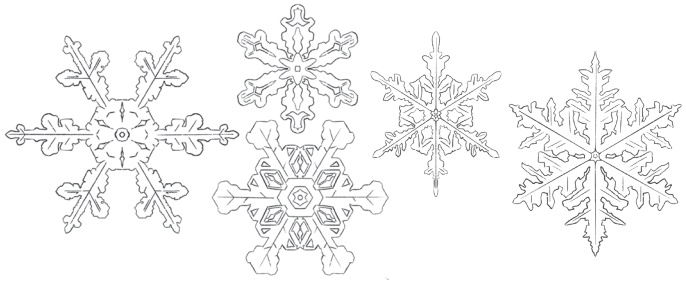

أعرف هل أجيب أنا أم هو.

قال الأستاذ يوسف بلهجة وقورة:

-أستاذي العزيز، تفضل أنت رجاء!

وقلبل أن يبدأ العم عمر حديثه شكر الأستاذ يوسف، ثم قال:

-ابنتي عائشة، كان الفصل شتاءا، وفي أمسية ثلجية باردة كنا نتسامر مع أحبابنا من أمثال الأستاذ يوسف في المحل، وفجأة بدأت تتساقط الثلوج بغزارة، وقد شكل تساقط الثلوج منظرًا جميلا جدًّا، فنهضنا عن الطاولات أنا والأصدقاء وبدأنا نشاهد تساقط الثلوج في عجب، وكانت حبات الثلج تتطاير، وتسقط كل واحدة منها في مكان مختلف دون أن يصطدم بعضها ببعض، وفي تلك اللحظة بدأ بيننا حوار تفكري، فكنا نتحدث عن كيف أن حبات الثلج ليست متشابهة وأن كل حبة ثلج تسقط على الأرض صغيرة مميزة وأن بعضها مختلف عن البعض الآخر، وبينما كنا نتحدث عن كيف أن هذا الاختلاف كان دليلا على وحدانية ربنا وعلمه اللانهائي، حدث شيء عجيب.

سأل الشباب بفضول:

-ماذا حدث يا عم عمر؟

-فجأة ظهرت قطة بيضاء صغيرة عند باب المحل، وكانت جائعة وتعاني من البرد، فأدخلناها إلى المحل على الفور، وقرّبناها من المدفأة ولففناها بمنشفة جافة، ثم قدمنا لها الحليب الدافئ، وكانت تحلو كلما ازدادت دفئا، وبدأت تقوم بحركات تعجبنا، ولما شبعت بدأت تلعب بكل سعادة، نحن الذين شهدنا هذا الحدث أحببنا هذه القطة كثيرا، وبينما كنا نتحدث عن تسميتها اقترح بعض الحاضرين أن نسميها لؤلؤة، واقترح البعض الآخر أن نسميها قطنة... وعندما قال الأستاذ يوسف: "ما رأيكم أن نسمي هذا الضيف الصغير الذي جاءنا وحبات الثلج تتساقط بـ قارتانه [حبة الثلج]؟" ارتحنا جميعًا لهذا الاسم، وبعد ذلك صرنا ندعوها دائما قارتانه، وأعتقد أنها أيضًا أحبت هذا الاسم كثيرًا.

في تلك اللحظة قفزت قارتانه في حضن العم عمر، فتفاجأ الجميع هناك وضحكوا لهذا الأمر.

قالت فاطمة وهي تشرب الشاي:

-هل يمكنني أن أسأل سؤالا أيضًا يا أستاذنا؟ ووجهت السؤال إلى الأستاذ يوسف:

-طبعًا يا فاطمة!

-أستاذنا، بما أن اختلاف كل حبة ثلج عن أختها دليل على وحدانية الله، فما هي الكائنات الأخرى التي يمكن أن نقدمها كأمثلة على أن الله واحد غير حبات الثلج؟

قال الأستاذ يوسف:

"هذا سؤال جيد"، وطلب من الجميع هناك أن ينظروا إلى وجوه بعضهم البعض. فنظرت الفتيات الجالسات إلى الطاولة إلى وجوه بعضهن

البعض دون أن يفهمن ما يحدث، وفي الوقت نفسه كانت قارتانه تنظر إليهم بغرابة.

قال الأستاذ يوسف:

-هل هناك أي منكم لديه نفس الوجه بالضبط؟

قال الطلاب:

-لا.

-هل هناك أي شخص في مدرستنا من يشبهه بالضبط؟

فقال الطلاب مرة أخرى: لا.

-وفي أسكودار؟

-لا.

- في إسطنبول أو تركيا؟

-لا.

وتوسع الأستاذ يوسف في الحديث عن نفس السؤال وسأل عما إذا كان موجودًا في آسيا أو أوروبا أو حتى في العالم بأسره.

فقال الطلاب: "لا أحد أيضًا".

قال الأستاذ يوسف:

-إذن أيها الأصدقاء، يمكننا أن نفهم أن الله واحد فقط من حقيقة أن وجوه جميع الناس مختلفة عن بعضها البعض، فهناك المليارات من الناس وليس بينهم وجهان متماثلان، إذ إن وجها واحدًا فقط يعطى لشخص واحد فقط، فلا يعطى ذلك الوجه لمن قبله ولا لمن بعده، لأن الحمض النووي لكل شخص والذي يحمل خصائصه مختلف ومصمم خصيصًا له، وهذا يدل على وحدانية الله الذي يعلم صفات جميع الناس عندما يخلقهم ويختار، ويخلق ذلك الوجه من بين احتمالات لا نهاية لها، فالله يعلم وجوه جميع الخلق الذين خُلقوا وسيخلقون ويمنح كلا منهم وجهًا خاصًا، ولو لم تخرج الوجوه كلها من العلم غير المحدود للإله الواحد لاختلطت جميعها بعضها ببعض، إذن فالذي خلق جميع البشر خلقا مختلفا بعضهم عن بعض منذ الإنسان الأول سيدنا آدم عليه السلام هو الله سبحانه الذي يريد أن يظهر علمه غير المحدود وقوته غير المتناهية من خلال خلق كل شخص خلقا مختلفا عن الآخرين.

قالت فاطمة:

-أستاذنا، هل يمكن أن تكون بصمات الأصابع مثالا على ما تقول؟

-بالطبع يا فاطمة، الأمثلة يمكن أن تتعدد، ولأن علم ربنا غير محدود

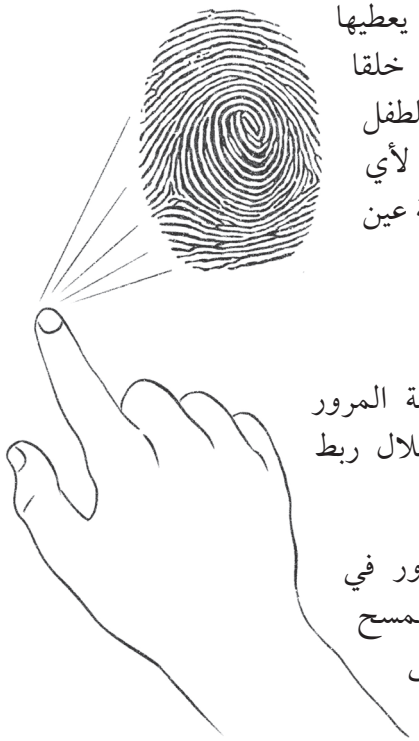

فالبصمة التي يعطيها الله لشخص لا يعطيها لشخص آخر، فكل إنسان يُخلق خلقا بديعا فريدا، وإن البصمة الممنوحة للطفل لا تُمنح لأي طفل آخر ولن تُمنح لأي أحد آخر في المستقبل، وأيضًا قزحية عين المولود لا تكون في أحد غيره.

استأذنت بتول في الكلام وقالت:

-أستاذنا، لقد قرأت أن نظام كلمة المرور الأمنية لبعض البنوك تعمل من خلال ربط علاقة مع طبقة القزحية في أعيننا.

-هذا صحيح، تُنشئ كلمات المرور في العديد من الأماكن عن طريق المسح الضوئي عبر طبقة القزحية، وعلى سبيل المثال تُستخدم للأمن في الهواتف المحمولة والأنظمة المصرفية وبوابات الدخول الخاصة، والآن يا شباب! أيقبلُ عقلٌ أن يكون للهواتف والكاميرات وبوابات الدخول الخاصة المصنوعة باستخدام أنظمة التعرف على الوجه وأنظمة مسح قزحية العين؛ صانع ماهر أو مصمم بارع، ولا يكون للوجه المثالي للإنسان ولعينيه الرائعتين مالك وخالق؟ إذ إن القدرة على إعطاء شخص لم يأت بعد إلى الدنيا خصائص مختلفة عن ثماني مليارات شخص في العالم لا يمكن أن تكون إلا إذا أوجدها خالقٌ غير محدود العلم، وهذا الأمر دليل على وحدانية الله ودليل أيضًا على أن الله خالق للكون كله ومهيمن عليه في كل لحظة.

النظر إلى الكون نظرة شمولية

قالت نسيبة:

-أستاذنا، أنا مهتمة جدّا بمسألة أن ربنا مالك للكون كله ومهيمن عليه في كل لحظة، هل يمكنكم أن تشرح لنا الأمر أكثر؟"

قال الأستاذ يوسف:

-هذه قضية مهمة حقّا يا نسيبة، فربنا يحكم كل أنحاء الكون في كل لحظة، وعندما ننظر إلى الكون نظرة شاملة نرى هذا، فكل شيء في الكون كبيرا كان أو صغيرا يتحرك وفق هدف مشترك، ويعمل على تحقيق هدف مشترك، وإن قيام المواد غير الواعية بعمل واع تحتّم علينا أخذ المعنى بعين الاعتبار إلى جانب المادة، فمن هو الذي يجمع هذه الكائنات حول هدف ويجعلها تقوم بواجباتها؟ على سبيل المثال، تأتي الغيوم لمساعدة النباتات، وتهرع الشمس لتمد جميع الكائنات الحية حتى تكون سببا للحياة، والنباتات تسعى لمساعدة الحيوانات، نحن نرى هذا، ولكن هناك أمر مثير للاهتمام، وهو أن هذه الكائنات التي ذكرناها لا تعرف ولا تعلم بعضها بعضا، وهذا يعني أن هناك إلهًا يسمع الكائنات في كل لحظة ويلبي احتياجاتها، وهو الله الذي يجعل هذه الكائنات تؤدي واجباتها وتهرع لمساعدة بعضها بعضا، ويمكننا أيضًا أن نطلب من العم عمر مثالا في هذا الصدد.

مسح العم عمر على ظهر قارتانه وقال:

-لقد شرحتم ذلك بشكل جميل حقّا، واسمحوا لي أن أشارككم مثالا بهرني كثيرًا، إن المادة التي نحتاجها بشدة لتعيش الكائنات الحية هي الأكسجين، أليس كذلك؟

قالت نسيبة:

-إذا لم يتوفر الأكسجين لا نستطيع التنفس وإذا لم نتنفس نموت.

قال العم عمر:

- منذ اللحظة التي نولد فيها نجد الأكسجين على الفور دون الحاجة إلى البحث عنه، أليس كذلك؟

قال الشباب: "بلى، يا عم عمر".

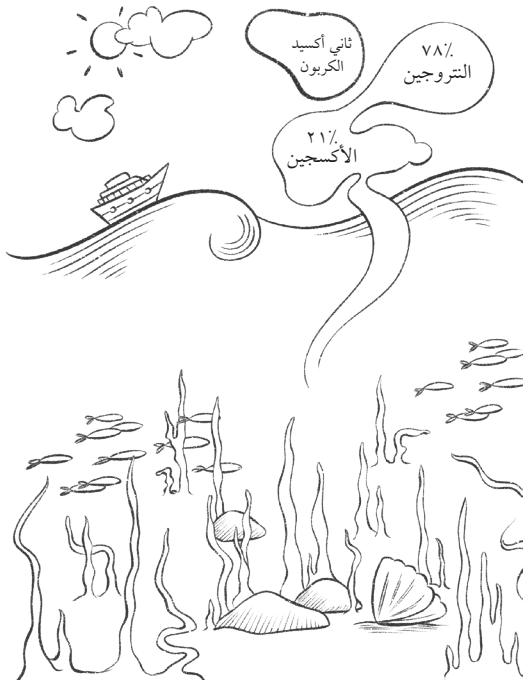

-ليس فقط نحن البشر يا أعزائي، بل جميع الكائنات الحية...

في تلك اللحظة كانت قارتانه تموء بلطف كما لو كانت تقول: "أنا أيضًا هنا، لا تنسوني!".

قال العم عمر مبتسمًا:

-على سبيل المثال، تحتاج جميع القطط مثل قارتانه إلى الأكسجين بمجرد ولادتها، هل يمكن أن يكون من قبيل المصادفة أن يصل الأكسجين إلى أنوفنا بكثرة ومجانًا دون الحاجة إلى البحث عنه؟ أخبروني أنتم؟ ثم لدينا نقطة أخرى مهمة: كما يقول العلماء فإن ٧٨٪ من الهواء الذي نتنفسه في الغلاف الجوي عبارة عن نيتروجين و٢١٪ عبارة عن أكسجين، وهذه النسبة مهمة جدًّا لاستمرار حياتنا، فإذا تنفسنا هواءً يتكون بالكامل من الأكسجين فإن ذلك سيؤدي إلى موتنا ببطء، لأن الأكسجين النقي من شأنه أن يتلف خلايانا، ولن يبقى حينها حياة على الأرض، والآن يا شباب هل يمكن أن يصنع الغازات الجوية المفيدة للحياة ويقدر نِسَبَها كائناتٌ لا حياة فيها ولا وعي ولا تعرف البشر؟! بل إن وجود الأكسجين أكثر أهمية من اختراع البشرية للعجلة وأدوات القطع. وهنا ألفت انتباهكم! من الذي يجعل الأشجار وخاصة الطحالب في البحار والمحيطات تنتج الأكسجين الذي هو أهم احتياجاتنا الأساسية للبقاء على قيد الحياة؟ فوراء هذه الأشياء المادية ربنا الذي يحب الناس ويرحمهم ويلبي احتياجات الناس في جميع الأوقات، لدرجة أن ربنا جعل الطحالب الموجودة في البحار والمحيطات تنتج ما يقرب من ٧٠-٨٠٪ من الأكسجين المستخدم على الأرض، أما الجزء المتبقي فيُنتج بواسطة النباتات، ولذلك لا غنى عن الطحالب للحياة على الأرض، فإذا نظرنا إلى الكون بشكل كلي شامل نرى أن الكائنات تتحرك من أجل هدف مشترك، وهكذا نبدأ في معرفة ربنا الواحد الذي يجمع كل الكائنات حول هدف في كل لحظة.

سألت زينب بفضول:

-عم عمر، كيف يفعل الله أشياء كثيرة دون معين؟

-ابنتي زينب، لقد سألت سؤالا جيّدًا، نحن البشر يا شباب بحاجة إلى المساعدة والدعم من الآخرين بسبب عجزنا وجهلنا ومحدوديتنا، لكن

الله الذي يتصف بالقدرة والعلم غير المحدودَين ليس كذلك، فالله تعالى لا يشبه الكائنات التي خلقها وليس مثلها، ولا يحتاج إلى أي شيء، لأنه خلق كل الأشياء الحية وغير الحية، وكل شيء موجودٌ لأنه هو من أوجده، وتستمر جميع الكائنات في وجودها بفضله، فهل يحتاج الله الذي هو خالق كل شيء إلى مخلوقاته؟ بالطبع لا؛ لأن قوة ربنا غير محدودة فهو لا يحتاج إلى مساعدة غيره، وبما أن غناه غير محدود فمن

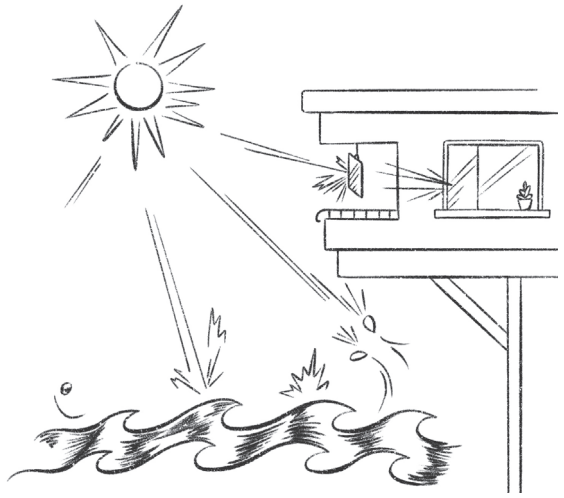

غير الوارد أن يكون في حاجة غيره.

أعزائي الشباب! أود أن أشرح هذا الموضوع من خلال مثال، فمثلا شمسنا في السماء واحدة، ولكنها تنعكس بخاصية الانعكاس الخاصة بها على جميع المرايا الصقيلة وقطرات الماء وأسطح البحار، فالشمس تدخل في جميع أنواع الأشياء الساطعة مثل هذه فتدفئها وتنيرها، ودخولها في واحدة من تلك الأشياء لا يمنع دخولها في الأخريات، والشمس توجد في كل شيء تدخله بمظهرها وحرارتها ونورها، ويمكنها القيام بهذا الأمر بسهولة في أماكن عديدة في نفس الوقت، وعلاوة على ذلك لا

تحتاج إلى شمس أخرى أثناء قيامها بهذه الأعمال. إذن كما ترون حتى الشمس التي هي كائن خلقه ربنا قادرة على العمل في أماكن لا حصر لها في نفس الوقت، وكذلك فعل شيء واحد لا يمنع الله تعالى من فعل شيء آخر، فربنا الواحد الأحد يفعل كل شيء في كل مكان بنفس السهولة دون الحاجة إلى أي شيء، ففي الوقت نفسه يرزق شجرة في أقصى الأرض ويطعم سمكة في أعماق البحار ويدوّر كذلك الذرات بنفس السهولة التي تدور بها المجرات في انتظام.

قالت زينب:

-شكرا جزيلا لك يا عم عمر، الحمد لله لقد حللت بفضلك نقطة كانت عالقة في ذهني.

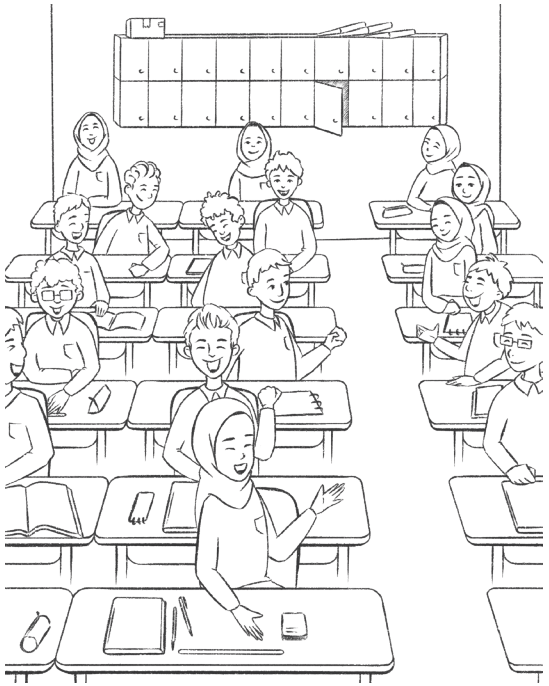

في الصباح، جاء الأستاذ يوسف إلى الصف قبل بدء الدرس الأول، وقد نفد صبر الشباب.

قال علي:

-أستاذي، لم أذق طعم النوم هذه الليلة إلا قليلا، من فضلك أخبرنا بهذا الخبر.

قالت زينب:

-من فضلك يا أستاذنا ما هو هذا الخبر الذي ستخبرنا به؟

قال مصطفى:

-أستاذي، إن أهلي في البيت أيضا يدفعهم الفضول لمعرفة الخبر وقد أخبرت جدتي العجوز وأصبحت متحمسة أيضًا لمعرفة الخبر.

انتظر الأستاذ يوسف حتى يهدأ الصف وقال:

-أتمنى لكم جميعا يوما سعيدا أيها الأصدقاء! سيعقد مؤتمر خاص بطلبة المدارس الإعدادية في جامعة إسطنبول الإسلامية العلمية نهاية هذا الأسبوع، وبصفتي معلم التوجيه في صفكم، أود منكم أن تشاركوا في هذه الفعالية، هل ترغبون في الحضور؟

طار الصف فرحًا، فقد كان الطلاب متحمسين للغاية فقام عريف الصف سعيد وقال: "نعم يا أستاذنا، سنأتي بكل سرور، أليس كذلك يا أصدقاء؟" فصرخ الصف بأكمله: "بالطبع سنأتي بكل سرور".

قال الأستاذ يوسف:

-اهدأوا يا رفاق، لكيلا نزعج الصفوف الأخرى!

قال صالح:

- ما هو الموضوع الذي سيتناوله المؤتمر يا أستاذي؟

قال الأستاذ يوسف مبتسما:

-"نعم إنه سؤال جيد وفي مكانه" إن المؤتمر سيكون بعنوان "العلوم تحدثنا عن الله"، وأوصيكم بحضوره جميعا، وهذه فرصة جيدة لتقوية إيماننا أيها الشباب، ففرصة حضور المؤتمر من شأنها أن ترفع وعينا حول الإيمان، وفي هذا المؤتمر سيقوم أكاديميون في العديد من التخصصات المختلفة بتقديم عروض تقديمية قصيرة لطلاب المدارس الإعدادية، وسوف يعرّفوننا بربنا بأمثلة من الحياة.

فرِحَ الطلاب أشدَّ الفرح، كيف لا وهم سيقضون عطلة نهاية الأسبوع مع معلمهم الذي يحبونه، إلى جانب ذلك فإن عدد الطلاب في الصف الذين لم يدخلوا الحرم الجامعي مطلقا لم يكن قليلا، إذ قالوا جميعا "حسنا!" وقبلوا عرض الأستاذ يوسف، وفي يوم السبت سيتلاقون عند رصيف العبّارات في أسكودار ويعبرون بالعبّارة، ثم ينطلقون بالحافلة الصغيرة التي استأجروها للذهاب إلى الجامعة.

رحلة إلى الجامعة

لقد حان يوم المؤتمر، وكان الجو جميلا جدًّا، وجاءت أسر بأطفالها إلى مكان الاجتماع وعهدت بهم أولا إلى الله ثم إلى الأستاذ يوسف، ولم يلبس الطلاب الزي المدرسي، فقد ارتدوا ما أرادوا من الملابس، وكان الأستاذ يوسف يرتدي بدلة فوق قميص أبيض، وقام عريف الصف سعيد بمراجعة القائمة للمرة الأخيرة وقال: "القائمة كاملة يا أستاذنا! لقد اجتمع سبعة عشر شخصا بالتمام والكمال، ونحن جاهزون!".

تقدم الطلاب نحو بوابة التذاكر للصعود إلى العبّارة، نعم لقد أصبحوا على متن العبّارة الآن، ثم صعدوا إلى الطابق العلوي من العبّارة، وبدأوا بمشاهدة البحر والمضيق والسماء، وكان البحر هادئًا جدًّا، حيث ضربت أشعة الشمس سطح البحر فأحدثت الأشعة المنعكسة منظرا رائعا، ومن

ناحية كانت الرياح اللطيفة تعبث بشعر الجميع، وكانت طيور النورس تطير فتميل إليهم كما لو كانت تحييهم، وكان بائع الكعك الذي كان هناك يصرخ "كعك، كعك هنا بائع الكعك!"، فبدأ الشباب بشراء الكعك من البائع ورميه إلى طيور النورس التي كانت تلتقط قطع الكعك في الجوّ باحترافية لا تصدق ثم تبتعد بسرعة عن العبّارة لتأكلها، فكان الشباب وبعض الركاب يشاهدونها بدهشة وهي تطير بهذه الانسيابية المتقنة.

قال الأستاذ يوسف للشباب الذين لم يعد لديهم كعك يرمونه:

-أيها الأصدقاء، هل فكرتم يومًا كيف يمكن لطيور النورس أن تطير في الجوّ؟

قال علي: "لم أفكر في الأمر قط، لقد أثار هذا الموضوع فضولي فأنا متحمس جدا لمعرفة ذلك".

قال الأستاذ يوسف:

- جميل أنك متحمس لمعرفة ذلك يا علي، لأن الفضول هو أستاذنا جميع العلوم ومعلّمها، أيها الشباب! إن الفضول يوجّهُ الناس إلى طرح الأسئلة والبحث، فكلما دَفَعَنا الفضول وسألنا ازداد إعجابنا بالمخلوقات وربنا الذي خلقها.

نحن نطرح الأسئلة للتعرف على شخص نعرفه قليلا لكي نعرفه أكثر، أليس كذلك؟ فكلما زادت معرفتنا بذلك الشخص زاد حبنا له، وكذلك يجب علينا أن نطرح بعض الأسئلة لنتعرف على ربنا، وأن نتأمل في المخلوقات التي خلقها الله، وأن نبحث ونستقصي.

هيا لنضرب مثالا عن ذلك، السؤال لكم جميعًا... متى قام البشر ببناء أول طائرة مجنحة وحلّقوا بها؟

استأذنت نسيبة التي تهتم بالطائرات والطيران وقالت:

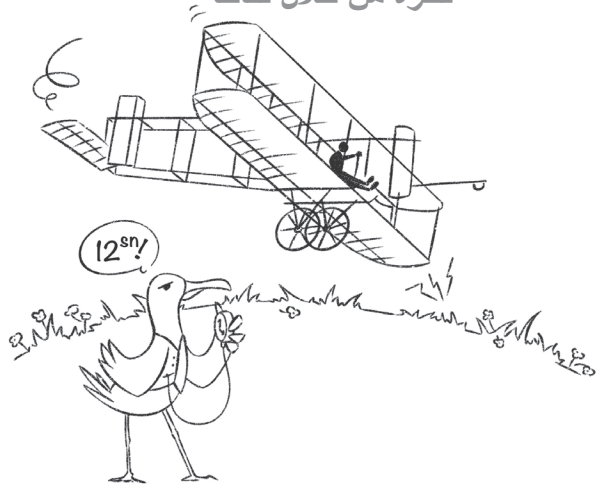

-أستاذي تمكن الأخوان رايت من الطيران بالطائرة ذات المروحة التي صنعوها في أوائل القرن العشرين إذا لم أكن مخطئة.

قال الأستاذ يوسف:

-أحسنت يا نسيبة! لقد نجحنا كبشر في الطيران بالطائرة في عام ١٩٠٣، أي قبل مائة سنة ونيّف، ولكن استغرقت الرحلة الأولى للأخوين رايت ١٢ ثانية فقط، في حين أن الطيور والذباب والنحل كانت تطير منذ قرون، وهنا أتساءل كيف تطير الطيور؟ من يمسكها في الهواء؟ كيف تعرف الطيور قوانين الطيران التي اكتشفتها البشرية قبل بضعة قرون فقط؟ كيف يمكنها الطيران دون أن تسقط أو تتحطم؟ وكيف اكتسبت هذه المهارة دون أي تدريب؟

قال علي بشيء من المزاح: عفوا يا أستاذي، لكن بعض الناس إذا أرادوا أن يصفوا أحدا بقصر العقل قالوا عنه "عقله عقل الطير".

قال الأستاذ يوسف:

-نعم هناك من يقول ذلك لكن كيف تمكنت هذه الحيوانات التي يقلل البعض من شأنها بوصف عقولها بالصغر من الطيران قبل الإنسان بآلاف

السنين وهو أذكى المخلوقات على وجه الأرض؟ ألا ينبغي لنا كالبشر باعتبارنا "ذوي عقول" أن نتساءل عن هذا الأمر؟ على سبيل المثال تأتي الطيور المهاجرة إلى بلادنا كل عام، حتى إنكم تعرفون طيور اللقلق التي لم تزل تحطُّ على سطح مدرستنا منذ فترة طويلة، فكيف تخرج هذه الطيور من وسط أفريقيا وتسافر آلاف الكيلومترات كل عام؟ وكيف تجد وجهتها دون أن تضل الطريق مع أنها لا تمتلك بوصلة ولم تدرس فنيّات الملاحة؟ فمن اكتشف البوصلة وأجهزة الملاحة أولا؟ الإنسان أم الطيور؟

وتابع الأستاذ يوسف كلامه على النحو التالي:

-أحبابي الأعزاء! فكما خلق ربنا الطيور صالحة للطيران وخلق الأسماك مزودة بأجهزة ملائمة للسباحة، خلقنا نحن البشر بأجهزة لازمة لتأمّل الكون وعجائب المخلوقات في الكون، ولهذا السبب أعطانا ذكاءً عاليا ومشاعر سامية لم يمنحها للحيوانات.

كانت العبّارة تقترب ببطء من الرصيف، وبدأ جميع الركاب بالسير نحو سلالم الهبوط، وكانت طيور النورس التي تتبع العبارة تطير بسعادة فتفتح أجنحتها ثم تضمها كما لو كانت تريد أن تقول لها شيئا.

القاعدة دليل على وجود من وضعها

عندما نزلوا من العبّارة تجمعوا مرة أخرى، ونظر كل طالب إلى صديقه الذي بجانبه، كان الصف كاملا، وشوهدت حافلة بيضاء صغيرة على مسافة ليست بعيدة عن الرصيف.

قال الأستاذ يوسف:

هل ترغبون في الجري والسباق إلى تلك الحافلة البيضاء الصغيرة؟

قال الشباب المفعمون بالطاقة بصوت واحد: "لم لا يا أستاذنا!".

-قال: "هيا، سأهدي قطعتين من الشوكولاتة لأول طالب وطالبة يلمسان الحافلة الصغيرة"، وبدأ السباق، حيث ركضوا حوالي مئتين وخمسين مترا، وكان هناك أمر غريب، فيا للعجب! علي الذي هو دائما الأوفر حظا في مثل هذه السباقات لم يكن يركض بل كان يخرج أشياءً من حقيبته، ما هذا؟ يا إلهي، علي أحضر حذاءه ذا العجلات معه! وسرعان ما لبسه وانضم إلى السباق.

كان الطلاب يركضون بكل جهدهم، والتنافس على أشدّه، وكان يتقدم الذكور سعيد وتتقدم الإناث بتول، واقترب علي منهم كثيا بحذائه ذي العجلات، ولكن في الخمسين مترا الأخيرة زاد إبراهيم وزينب من سرعتهما فكانا أول من لمس الحافلة الصغيرة، ولمس علي الحافلة الصغيرة في نفس الوقت الذي لمس فيه سعيد الذي انصدم لما حدث، ثم تبعهم الأستاذ يوسف وقال: "أنتم مثل الريح يا شباب، ما شاء الله! لكننا يا علي لن نحسب لمستك للحافلة الصغيرة لأنك لم تلتزم بالقواعد".

قال الشباب:

-أنت على حق يا أستاذنا، القواعد تُلزِمُنا جميعًا وعلينا أن نتبعها، ثم أخرج الأستاذ يوسف قطعتي الشوكولاتة اللتين أحضرهما مسبقا من جيبه، وقدمهما لزينب وإبراهيم الفائزَين في السباق، وقد كان الشباب متعبين بعض الشيء ولكن هذا النشاط أسعدهم أيضا، ثم تحدث إبراهيم وهو يلهث قليلا بعد أن تلقى هديته مسرورا:

-أستاذي، الشوكولاتة لذيذة لكن الحصول عليها كهدية من يدك ألذ بكثير.

فدخل حسن على الخط وقال:

-يا أستاذنا، لقد فهم صديقنا إبراهيم درس الأمس فهما جيدا، ألا ترى أنه لا ينظر إلى الهدية بل ينظر إلى المُهدي.

قال الأستاذ يوسف:

-صدقتما، إذ من الرائع تطبيق ما تتعلمانه في الحياة اليومية، والآن أمامنا طريق طويل لنقطعه، فلنتحدث عن هذا في الحافلة الصغيرة.

أُغلقت أبواب الحافلة الصغيرة بعد إجراء التفقد أكثر من مرة وانطلقوا نحو الجامعة، ثم استأذن الأستاذ يوسف سائق الحافلة الصغيرة وأخذ الميكروفون النقال في الحافلة وقال:

-أيها الأصدقاء، أتمنى لكم رحلة سعيدة! لدينا حوالي أربعين دقيقة بالسيارة، وإذا بقيت حركة المرور تسير بهذه السرعة فإننا نأمل أن نصل في الوقت المحدد للبرنامج، ندعو الله حتى لا تحدث مفاجآت! لأنه كما تعلمون حركة المرور في إسطنبول مليئة بالمفاجآت.

نادى علي من أحد المقاعد الخلفية:

-أستاذي، لقد قلت لنتحدث عن هدية الشوكولاتة في الحافلة.

قال الأستاذ يوسف:

-حسنا، دعونا نتحدث يا أصدقاء، نفترض أننا جميعا نمر عبر نفق زمني ونزور السلطان عبد الحميد الثاني جعل الله الجنة مأواه الذي أمر ببناء مدرستنا، هل ستكونون سعداء لو أن السلطان أهدى كل واحد منا أحد الأقلام الجميلة المكتوب عليها أسماؤنا؟

قال علي:

-من لا يفرح بذلك يا أستاذنا؟ بالطبع سنكون سعداء للغاية.

قال الأستاذ يوسف:

-هل ستكونون أكثر سعادة لحصولكم على القلم أو لتلقي هذه الهدية من يد السلطان؟

قالت زينب:

-أستاذنا، بل لتلقينا هدية من يد سلطاننا.

قال الأستاذ يوسف:

-صحيح، إذا كانت السعادة التي يعطيها القلم شيء واحد فإن أخذ القلم من يد السلطان يزيده سعادة مئة مرة، وعندما يقدم لك السلطان هدية فإن ذلك يدل على أنه يحبك ويقدرك.

هكذا تكون البركات من ربنا أيها الشباب، مثلا عندما نأكل برتقالة فإن البرتقالة لها نكهة مادية، ولكن عندما نعتقد أن تلك البرتقالة أهداها الله لنا ونذكر ربنا فإن طعمها فجأة يتضاعف مئة ضعف، فالتفكير بأن ربنا -القدير الرحيم- يقضي حوائجنا؛ يقربنا من ربنا.

استمرت الرحلة بالمحادثات اللطيفة، كما اشتروا الوقود من مكان مناسب على الطريق، وكانت حركة المرور في بعض الأحيان مزدحمة وأحيانًا سالكة، ثم مرّت حافلة مسرعة أمامهم بشكل مخالف للقواعد وقد عرّضت المركبات الأخرى في حركة المرور للخطر، ولسوء الحظ تسببت تلك الحافلة في وقوع حادث أمامنا، فتعطلت حركة المرور، فنزل السائقون يتخاصمون، لذا كانت الأجواء بحاجة إلى التهدئة.

نزل الأستاذ يوسف مع سائق الحافلة الصغيرة وحاول تهدئة الوضع، فطلب منهم التوقف عن الخصام ووضع الإشارات الأمنيّة على الطريق، واتصل بشرطة المرور، فالإشارات الأمنيّة مهمة، لأنه -لا قدّر الله- كان من الممكن أن تأتي مركبات أخرى وتصطدم بالمركبات المتوقفة، ثم هدأ السائقون قليلا وفعلوا ما قاله الأستاذ يوسف، وكان هناك طفل صغير في السيارة التي أصابها الحادث، وكان يبكي من الخوف، فتمنى

الجميع لهم الشفاء العاجل، وكان الشباب أيضا يتابعون ما يحدث من داخل الحافلة الصغيرة.

فتحت زينب نافذة الحافلة الصغيرة وقالت:

-أستاذنا، أنا لم آكل الشوكولاتة التي فزت بها في السباق، فإن شئت أهديتها للطفل الصغير.

قال الأستاذ يوسف:

-يمكنك ذلك يا زينب، فكرتك جميلة، سوف أقدمها له.

قبل الصبي الهدية، ثم فتحت والدته الشوكولاتة وأطعمتها لابنها، فبدأ وجه الطفل يبتسم قليلا.

لقد كان سائق الحافلة مخطئا حقّا وكان على علم بخطئه.

انطلقت الحافلة الصغيرة مرة أخرى، وبدأت في المضي قدما، وعلى الرغم من أن حركة المرور كانت كثيفة من وقت لآخر إلا أنهم والحمد لله كانوا يسيرون بسلام.

قال الأستاذ يوسف:

-ترون أيها الأصدقاء مدى ضرر التسرع وعدم المسؤولية، وكان من الممكن أن يقع حادث أكبر معاذ الله.

قال سائق الحافلة الصغيرة:

-أستاذنا، الحمد لله لقد نزلنا وساعدناهم، وإلا لكان من الممكن أن يسفر الخصام عن نتائج أكثر سلبية.

-نحن مسلمون أيها الأخ السائق وهذه هي مسؤوليتنا، فلا يمكننا ألا نهتمّ بمشاكل المجتمع ومتاعبه، وعندما نرى مشكلة نحاول المساعدة بأيدينا وألسنتنا، فإذا لم نتمكن من فعل أي شيء فإننا ندعو الله من أجل

شعبنا، كما أن هناك بعض الحرائق يمكن إخمادها بكوب من الماء ولكن إذا ظن الجميع أنها تخمد بشيء من الرطوبة والندى ولم يهتموا بها فإنها سوف تكبر ويمكن أن تتوسع لتشمل الجميع.

انخفضت كثافة المرور قليلا، وأصبح المسير أيسر الآن.

قالت عائشة بهدوء لمعلمها:

-أستاذنا، لقد أرسلت أمي معي راحة الحلقوم لتحلية أفواهكم في الطريق، ولكنني لم أستطع أن أخبركم بسبب الازدحام الذي كنا فيه قبل قليل، فهل يمكنني أقدمها لك ولأصدقائي؟

قال الأستاذ يوسف:

-بالطبع يا عائشة، ولم لا؟ وكما قال أجدادنا: "نأكل الحلوى فيحلو كلامنا"، وقد جاء في وقته بعد الحادثة الماضية.

أخرجت عائشة علبتين كبيرتين من راحة الحلقوم من حقيبتها، وناولت واحدة للطلاب الذكور في الخلف، والأخرى ستأكلها هي والطالبات في الصف الأمامي ومن يجلس في مقعد السائق، ثم فتح علي العلبة التي أُرسلت إلى الخلف وقال وهو يظهر فرحته:

-الله الله، أستاذي لدينا كنز هنا. فراحة الحلقوم بالقشطة والجوز والفستق بدت في العلبة الكبيرة وكأنها كنز مصطف بمختلف الألوان، ثم شكر جميع الطلاب عائشة ووالدتها وبدأوا بتناول راحة الحلقوم من العلبتين بكل سرور، و شكر الأستاذ يوسف هو الآخر عائشة وأسرتها ، ثم أخذ الميكروفون مرة أخرى وفتح بابا جديدا للتأمل والتدبر.

-أيها الشباب، كما ترون لقد تعرضنا للتو لحادث، في حين أن لكل مركبة في حركة المرور سائق عاقل بالغ، ويمكن للأشخاص العاقلين استخدام هذه الوسائل بعد تلقي تدريب معين، ولا يتم منح رخص القيادة لمن هم دون سن الثامنة عشرة وللذين لا يستطيعون اجتياز

اختبار القيادة بنجاح، وقد حُدّدت قواعد المرور ووُضِعت إشارات المرور والأضواء في كل مكان، وتبذل شرطتنا جهودا مستمرة للتفتيش والمراقبة، وهناك أنظمة كاميرات إلكترونية في الأماكن التي ليس فيها شرطة، وعلى الرغم من اتخاذ مثل هذه الاحتياطات والتدابير إلا أن الحوادث ما زالت تقع، وها نحن كنا شاهدين على الحادث السابق.

استأذن أحمد بالكلام وقال:

-أستاذي، هل قواعد المرور هي نفسها في كل مكان في بلدنا؟

-نعم يا أحمد، قواعد المرور هي نفسها في كل مكان في بلدنا، حيث إن قواعد المرور المطبقة في جميع أنحاء بلادنا تثبت وجود دولتنا وتظهر أيضا أنها دولة واحدة، لأنه إذا كانت هناك قاعدة منتظمة في مكان ما فإن تلك القاعدة دليل على وجود من وضع القاعدة، فليست هناك قواعد أو قوانين تنشأ بشكل عفوي، وإذا كانت القاعدة تعمل بنفس الترتيب في كل مكان، فهذا يشير إلى أن تلك القاعدة نشأت من مصدر.

والآن دعونا نفكر في الأمر! إن النجوم والكواكب وتوابعها التي تسير في الفضاء تتحرك وفق قاعدة وقانون، فمن الذي وضع هذه القواعد والقوانين التي تتبعها الأجرام السماوية؟ وعندما تُمنح جوائز العلوم للعلماء الذين اكتشفوا هذه القوانين، ألا ينبغي أن نفكر فيمن وضع تلك القوانين ونفذها بشكل منظم في كل مكان؟

وكيف تتحرك الأجرام السماوية بانتظام دون أن يصطدم بعضها ببعض؟ من يحدد مساراتها؟ أو هل لديها سائقون؟

قال حسن:

-أستاذي، الكواكب والنجوم ليس لها سائقون!

-كلامك صحيح جدًّا يا حسن، فبقوة مَن وعلم مَن تتحرك هذه الأجرامُ

السماويةُ بانتظام؟ كيف تتمكن هذه الكتل الضخمة التي لا حياة فيها ولا عقل ولا سائق من ألا تصطدم ببعضها البعض، رغم أن سرعاتها مختلفة وأحجامها مختلفة ومداراتها واتجاهات دورانها مختلفة تماما، أليس هذا مذهلا؟

قال سعيد:

-أستاذنا، هناك مركبات بدون سائق تتحرك بالذكاء الاصطناعي، وطائرات بدون طيار، وحتى القطارات كذلك.

قال الأستاذ يوسف:

-أنت على حق يا سعيد، مقاربة جيدة! وهل هناك مختصون يخططون لصنع أجهزة المركبات التي تُقاد بلا إنسان؟

-نعم بالطبع يا أستاذنا.

-وهل هناك مهندسو برمجيات يكتبون مئات الآلاف من أسطر التعليمات البرمجية؟

-نعم.

-وهل هناك مهندسو إدارة يديرون تلك المركبات بحسب تعاريفها الوظيفية؟

-نعم يا أستاذنا.

-أصدقائي الأعزاء، هذه التكنولوجيا عالية المستوى متاحة في ثماني أو عشر دول فقط في العالم، أي إنها تقنية اكتشفتها البشرية للتو، ولكن هل الأجرام السماوية في الفضاء كذلك؟ وهي تقوم بتلك الأعمال على الرغم من أنها ليست خبيرة أو مهندسة في هذا المجال، وتقوم بحركات ذات وعي مع أنه تفتقر للوعي.

وشارك في الحديث مصطفى وهو طالب مهتم بعلوم الفضاء حيث قال:

-نعم يا أستاذ، ينبغي لنا أن ندرس الأجرام السماوية ونبحث فيها، هل يمكنني أن أشارككم شيئًا جعلني أفكر في هذا الموضوع؟

قال الأستاذ يوسف وهو يناوله الميكروفون المحمول:

-تفضل، خذ الميكروفون وتحدث حتى يتمكن الجميع من سماعك بشكل أفضل.

-أستاذي، لقد اشترينا للتو الوقود لمركبتنا، وسوف نسافر بهذا الوقود لفترة معينة من الزمن، وعندما ينتهي الوقود سيتوقف السائق في مكان ما مرة أخرى ويملأ خزان وقود المركبة، وهناك نقطتان أثارتا إعجابي أكثر، أولا كيف تتحرك الأجرام السماوية التي ذكرتها دون نفاد وقودها؟ ثانيا كيف تتبع هذه الأجرام مساراتها الخاصة دون أن يضر بعضها بعضا؟ من الصعب عدم الإعجاب بذلك.

هزَّ الأستاذ يوسف برأسه مشاركا مصطفى رأيه.

الجامعة الإسلامية للعلوم

لقد وصلوا الجامعة، ومروا من تحت بوابة المدخل المهيبة للجامعة المطلة على الشارع، وبعد دخولهم حدود الجامعة بدأوا يتفرجون عليها من الداخل، وقد كانت هناك مبانٍ كبيرة جدًّا في الحرم الجامعي، ومبانٍ كبيرة ذات كسوة زجاجية ومساحات خضراء كبيرة وواسعة وطرق واسعة تؤدي إلى كليات مختلفة، وكان هناك طلاب وطالبات أكبر منهم سنا، فهذا المكان لم يشبه المدرسة الابتدائية ولا الإعدادية ولا الثانوية.

اتبعوا العلامات الإرشادية واتجهوا نحو القاعة التي سيعقد فيها المؤتمر، كانت قاعة المحاضرات هذه مجاورة للمكتبة التي جذبت انتباه بتول التي هي من أكثر الطلاب قراءة للكتب في الصف؛ لقد كان هذا المبنى

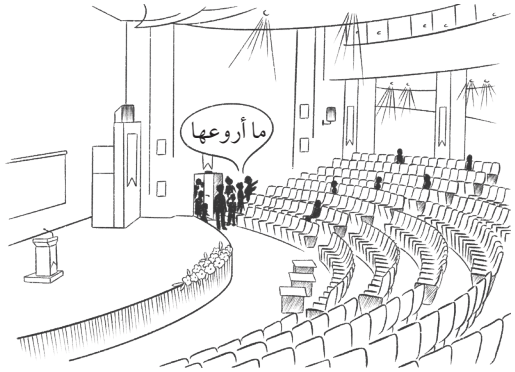

أفخم مبنى رأوه في الحرم الجامعي، إذ كان مبنى كثير النوافذ يتألف من طابقين ويتمتع بهيكل ذي بناء أفقي يشدّ الانتباه، وكان على هندسة معمارية مؤثرة تشدك لترى ما في داخله.

وبينما كانت بتول تنظر بإعجاب إلى باب مدخل المكتبة فإذا ببصرها يقع على قول الله تعالى "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ"[1] مكتوبا على باب المكتبة فقالت بتول للأستاذ يوسف:

-هل يمكنني أن أسأل سؤالا يا أستاذي؟

قال الأستاذ يوسف بنبرة ودودة: "بالطبع يمكنكِ أن تسألي!"

-كيف نفهم هذه الآية المكتوبة على مدخل المكتبة؟ انتابني الفضول.

قال الأستاذ يوسف:

-أهنئك على اهتمامك يا بتول، آمل أن نحصل على إجابة لهذا السؤال في المؤتمر، ولم يتبق الآن سوى القليل من الوقت كي يبدأ، لنترك الإجابة عن هذا السؤال للمؤتمر إذا شئت!

كان من المقرر أن يبدأ البرنامج في الساعة ١٠ صباحا، وبدأت القاعة التي سيعقد فيها المؤتمر تمتلئ ببطء، حيث كانت جميلة حقّا، والإضاءة والتهوية

١ سورة العلق، الآية: ١.

فيها في غاية الروعة، ومسرحها واسع جدًّا، وقد كان المسرح والمنصة مرئيين من كل الجهات، فلا أحد يعوق أحدا، ولا أحد يحجب النظر عن أحد، وبدأ الشباب يتحدثون فيما بينهم، وقد أعرب البعض عن إعجابهم بقولهم "رائع!" والبعض الآخر بالقول "قاعة مهيبة!".

قال علي:

-أي مكان هذا يا أستاذي؟! الحمد لله على حضورنا!

قال الأستاذ يوسف: "انتظر يا علي، فالبرنامج لم يبدأ بعد، عبروا عن آرائكم الحقيقية بعد البرنامج".

كان طلاب المدارس الإعدادية من المدارس الأخرى يدخلون القاعة، وصافح الأستاذ يوسف بعض المسؤولين هناك وتحدث معهم، ثم جلس الأستاذ يوسف وطلابه في القسم المخصص لهم في الصف الثاني، وكان البرنامج على وشك أن يبدأ، فقد انتظروا فترة إضافية قليلا حتى يتم ضبط أنظمة الصوت وضمان نظام القاعة.

وظهر مقدم البرنامج، وكان الجميع ينتظره بفارغ الصبر. بدأ مقدم البرنامج كلمته بالبسملة وعرض سير البرنامج، ثم بدأ البرنامج بتلاوة القرآن الكريم، والقارئ الذي تلا آيات من القرآن الكريم كان شابّا حافظا فاز بالمركز الأول في مسابقة أجمل قراءة للقرآن الكريم، وكان يقرأ آيات من سورة الإسراء تتناسب مع موضوع المؤتمر، وقد عُرضت المعاني العربية والتركية والإنكليزية للآيات التي قرأها على الشاشة العملاقة على المسرح، وكان على الشاشة ترجمة الآية الآتية: "تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا" وقد لفتت هذه الآية انتباه الجميع، حيث كانت الآية تقول بأن كل الكائنات تذكر ربنا بالحمد والتمجيد.

هناك تكامل بين الإسلام والعلم

بعد ذلك عُزف نشيدنا الوطني وبدأت الكلمة الافتتاحية للمؤتمر، ولقد ألقى الكلمة الافتتاحية للمؤتمر رئيس الجامعة الذي بدأ كلمته محييا

جميع الضيوف بقوله "أهلا بكم!" ثم تابع على النحو التالي:

أيها الشباب الأعزاء! لقد قضيت طفولتي في جوكور أوفا، أخبروني ما هو أكثر ما يزرع في منطقة جوكور أوفا؟ وتردد في القاعة صدى كلمة "القطن" التي أجاب بها الطلاب في صوت واحد، نعم هذا صحيح إنه القطن، فقد كنا عائلة تعمل بشكل رئيسي في زراعة القطن، ولذلك أود أن نتفكر في نبات القطن معا.

عندما كنت طفلا كنت أفكر: كيف يخرج القطن الأبيض الناصع اللين الناعم الخفيف الذي هو المادة الخام للمنسوجات، من تراب أسود؟ وهذه الحالة كانت تقودني إلى الإعجاب، فتساءلت عما كان في باطن الأرض التي تحولت إلى ذلك القطن الأبيض الناصع، هل كان هناك مصنع دهان في الأرض؟ بالإضافة إلى ذلك كيف يمكن لألياف القطن الرقيقة أن تخرج من ذلك التراب الصلب الخشن؟ كما تعلمون أن

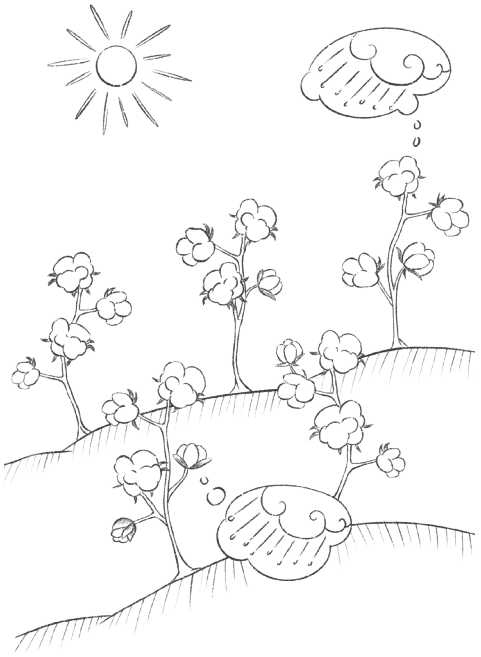

المادة الخام للنسيج هي القطن، فهل يمكن للتراب الذي ينبت فيه القطن أن يعرف ما القماش وما اللباس؟ بالإضافة إلى ذلك فإن زيت الطهي مصنوع أيضًا من بذور القطن، وهو زيت بذور القطن الذي تستخدمه أمهاتنا في المطبخ، فهل هناك مصنع زيوت في التراب يا تُرى؟ وأين تعلم هذا التراب صنع زيت بذرة القطن المفيد جدًّا لصحتنا؟ هل يمكن للتراب أن يعرف ما هي الصحة؟ فقد كنت أفكر في مثل هذه الأسئلة. من أجل تكوّن القطن يجب أن يجتمع التراب والماء والهواء والشمس معا، وعندما كنت طفلا كنت أفكر بعقلي حينها فأتساءل "عما إذا كانت هذه العناصر متفقة فيما بينها قبل أن تجتمع؟ وكيف تتفق على تحقيق هدف مشترك؟ ثم أقول: "لكن ليس لديها العقل أو الوعي حتى تتمكن من القيام بذلك، فلا يمكنها تلبية حاجات الناس إلى القمصان القطنية، ولا تعرف الزيت الذي نحتاجه عندما نصنع رقائق البطاطس".

نعم أيها الشباب الأعزاء! إن جميع احتياجات الإنسان تُرسل إلى الناس من حيث لم يحتسبوا، وعندما نفكر في الأمر نجد أنه يمكن تلبية هذه الاحتياجات بطريقتين، إما أن نقول إن الجمادات كالتراب والماء والشمس والهواء تعرفنا وتحبنا لذا فهي ترقّ لحالنا وحاجتنا وتعطينا ما نحتاجه، أو أن نقول إن هناك من يعرف الإنسان ويحبه ويرحمه وله

قدرة على كل شيء وهو يلبي احتياجاتنا في الوقت المحدد دون أن ينسى أو يضل، وسوف نحصل على الإجابة عن هذا السؤال في نهاية هذا المؤتمر.

توقف السيد رئيس الجامعة قليلا، ونظر إلى الشباب بصمت وقال هذه العبارات المحفزة للتفكير.

-أيها الشباب، هناك تكامل بين ديننا الجميل الإسلام والعلم، لأن الكون الذي هو مجال بحث العلوم هو من صنع الله في جميع جوانبه، والإسلام هو الدين الذي أرسله الله للناس بواسطة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولهذا السبب هناك تكامل بين الدين والعلم، فقد شجع القرآن الكريم والأحاديث وهما المصدران الرئيسيان للإسلام على اكتساب المعرفة وأثنيا على العلماء كثيرا، لذا يولي الإسلام أهمية كبيرة

للبحث والنظر، فالإسلام دين العلم، والحضارة الإسلامية هي حضارة علمية.

جميع العلوم مثل العلوم الطبية وعلوم الفضاء وعلوم الأرض ترصد وتنظر في الأشياء والأفعال التي خلقها ربنا في الكون، فهي موجودة للبحث في القوانين التي وضعها الله في الكون، فكل علم من العلوم يخبرنا عن الله ويعرفنا به بلغته الخاصة به، كما سوف نستمع إلى هذه اللغة من مختلف أصدقائنا المحاضرين طيلة المؤتمر، ولهذا السبب عندما نمعن في الكون الذي هو صنع الله، لا ينبغي لنا أن ننسى صاحب الصنعة، كما يجب أن نتعرف بالإيمان إلى ربنا الذي لا نراه انطلاقا من آثاره التي نراها. أرحب بكم مرة أخرى وأبشركم بأن مثل هذه البرامج المختلفة سوف تستمر، وأتمنى لكم جميعا النجاح مدى الحياة، ودمتم بخير.

***

جلس السيد رئيس الجامعة في مقعده وسط تصفيق حار، وقال مقدم البرنامج: "والآن أدعو إلى المنصة المحاضر الأول لدينا الدكتور المساعد السيد عبد الله، أحد أساتذة علوم الهندسة والتكنولوجيا، تفضلوا أستاذي المحترم!" وأعطى الكلمة للسيد عبد الله.

العقل يعمل بالأدلة

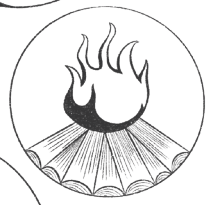

أيها الشباب الأعزاء، تعالوا أشارككم تجربة من الحياة، لنفترض أننا بالقرب من جبل وأننا رأينا دخانا يتصاعد من خلف الجبل، حينها نقول: "هناك نار"، وعلى الرغم من أننا لا نستطيع رؤية النار بوضوح إلا أن الدخان المتصاعد من هناك دليل على وجود نار هناك، فإذا

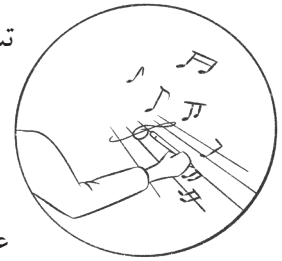

تسلقنا الجبل ورأينا النار بأعيننا فإن مستوى معرفتنا بوجود النار سيزداد أكثر، وإذا اقتربنا من النار واستفدنا منها وتدفّأنا بها؛ فإن وجود النار سيكون قد وصل إلى المستوى الأكثر يقينا بالنسبة لنا.

عندما نرى مبنى مثل هذا نقرُّ بأن مهندسا قد بناه، فحتى لو لم نرَ المهندس بأعيننا فإن معالم المبنى دليل على وجود المهندس، وعندما نسمع أغنية نعلم يقينا أنه لا يمكن ترتيبها في النوتات الموسيقية بالصدفة، فهذه حقائق نتوصل إليها دائما بعقولنا، لأن العقل يحتاج إلى دليل وبرهان حتى يطمئن.

عدم رؤية الصانع لا تعني أن المصنوع تكوَّن بالصدفة

أصدقائي الأعزاء، إن أول سؤال نسأله عندما نرى مبنى جميلا هو من بناه، أليس كذلك؟ وعلى سبيل المثال عندما نرى مبان رائعة مثل مسجد السليمانية في إسطنبول وقصر دولمة بغجة فإننا نتساءل عن مهندسي هذه الصروح، لأننا نعلم بأذهاننا أنه من المستحيل أن تظهر مثل هذه الصروح الرائعة في الوجود من تلقاء نفسها.

أيها الشباب الأعزاء! الآن أنا أسألكم جميعا، هل يمكن أن تحدث قاعة المؤتمرات هذه بمفردها؟

انطلقت صيحات "لاااااا!" من القاعة، وكان صوت علي هو الأكثر سماعا.

وإذا ادعى أحدهم أن قاعة المؤتمرات هذه جاءت إلى حيز الوجود عن طريق الصدفة، ألا تشكون في سلامة عقله؟ فردد الجميع في القاعة مرة أخرى بصوت واحد: "نعم".

ثم دعا السيد عبد الله؛ حسن الذي هو أحد الشبان الجالسين في المقدمة إلى المنبر، فسأله عن اسمه ثم قال: أخي حسن! ماذا ستفعل لو ادعى

شخص أن قاعة المؤتمرات هذه أنشئت بشكل عشوائي؟

أجاب حسن:

-أقول له إن مثل هذا البناء الفني الجميل لا بد أن يكون له صانع، مثل هذا المبنى يستحيل أن يكون قد تشكل صدفةً، ولو كنت أعرف مهندسه لجمعته به".

شكر السيد عبد الله حسن وأرسله إلى مكانه وتابع كلامه على النحو التالي وقد بدأ يبتسم:

-أصدقائي الأعزاء، أنا مهندس معماري ومهندس مدني في نفس الوقت، ولقد تلقيت تعليما في كلا المجالين، وبالمناسبة أنا المهندس الذي يريد حسن أن يجمع بيني وبين ذلك المدعي، ونحن كمهندسين نقوم برسم مشروع المبنى قبل تشييده ونخطط لكل شيء فيه بأدق التفاصيل، ولقد تأثرنا بعالَمنا أثناء إنشاء هذه القاعة، بعالَمنا الذي نعيش فيه نحن البشر بكل راحة وسهولة، وعملنا دائما على أن نُعدَّ الإضاءة والتهوية والمتانة ونظام الصوت من خلال النظر إلى المباني الرائعة في عالمنا.

لهذا السبب فكرنا أولا في الغرض من هذه القاعة قبل بنائها، وقررنا كم يجب أن يكون حجمها، كما خططنا لتهويتها لتكون باردة في الصيف ودافئة في الشتاء، تماما مثل فصول السنة، وقد أجرينا حسابات الإضاءة والموقع التي من شأنها أن تجعل المسرح مرئيًا من كل مقعد في القاعة، ثم قمنا بتصميم الديكور الداخلي والجدران والأرضيات بطريقة فنية، كما أولينا اهتماما كبيرا بنظام الصوت الذي ينتشر في كل منطقة من القاعة، ولقد اتخذنا على وجه الخصوص احتياطات خاصة ضد الزلازل والحرائق المحتملة، فتمكنا من بناء قاعة المؤتمرات هذه بحسابات هندسية دقيقة للغاية.

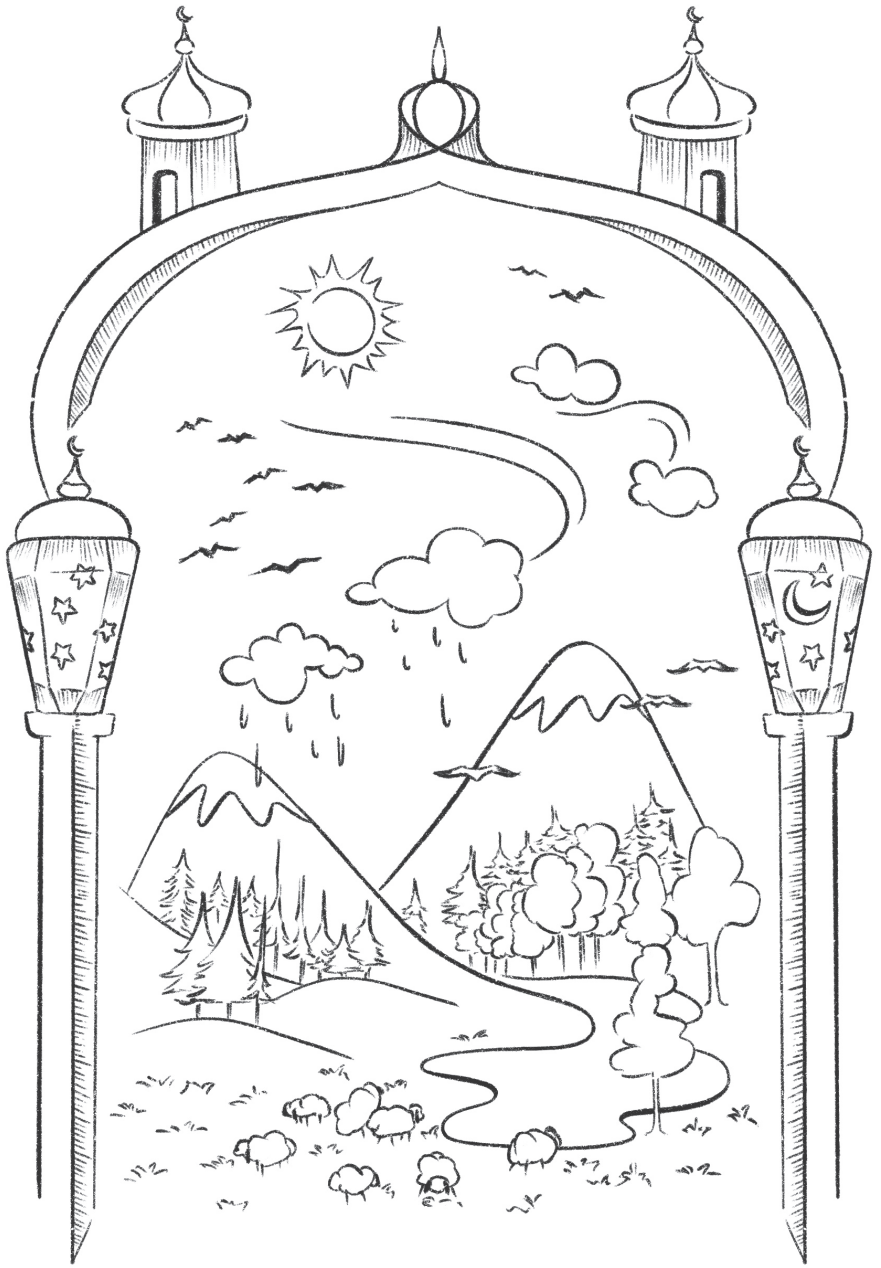

أرضنا مثل قصر فخم!

الآن دعونا نفكر معا، أليست هذه الأرض التي نعيش فيها مثل مبنى فخم؟ حتى إنها مثل قصر مهيب، وسماؤنا شديدة الزرقة وهي سقف هذا القصر تتلألأ بالشمس نهارا وبالقمر والنجوم ليلا.

أما قاعدتها فمزينة من أقصاها إلى أقصاها بالأشجار والزهور التي تتجدد دائما؛ إنها الأرض التي تنبض بالحياة.

أما شمسنا فهي مثل مصباح ومدفأة لهذا القصر، أيها الشباب الكرام، هل في بيت أحد منكم أو مدرسته مصباح معلق في الهواء دون أن يكون متصلا بأي شيء ويدور دائما بانتظام؟

صرخ الطلاب:

"لا"، وقالوا إن المصباح يجب أن يكون مثبتا في مكان معين.

قال السيد عبد الله:

-وشمسنا تدور على الرغم من أنها مصباح عملاق، وعلى الرغم من أنها ضخمة بما يكفي لاحتواء مليون وثلاثمائة ألف جرم سماوي بحجم أرضنا إلا أنها تتحرك باستمرار في الفضاء، فليس هناك عمود تحتها ولا هي مربوطة بشيء، كما أنها تدور باستمرار وتحرك الكواكب الأخرى من حولها، وترسل لنا الضوء والدفء الذي نحتاجه، فلا تطلب منا أي أجر.

أما الرياح في أرضنا؛ أليست مثل المكيفات التي تعمل على تبريد الكائنات الحية وتوزيع الهواء النظيف على من يحتاجه؟ كما تحمل الرياح أيضًا السحب الممطرة من مكان إلى آخر، بالإضافة إلى أنها تساعد النباتات على التكاثر من خلال نشر حبوب اللقاح في كل مكان.

أما الجبال فهي جمال آخر، حيث إن الجبال المليئة بالمعادن والمياه العلاجية

التي تحتاجها الكائنات الحية، هي بمنزلة أعمدة صلبة جدًّا لأرضنا.

أصدقائي الأعزاء، أود أن أختم كلامي بهذه العبارات، إنه من الواضح أنه حتى المنزل البسيط أو المبنى العادي لا يمكن بناؤه بالصدفة، فإن أرضنا التي تشبه القصر الرائع لا يمكن أن تكون صدفةً أيضًا، ولا يمكنها أن تتخذ لنفسها هذا الوضع العجيب الممتاز، والله سبحانه الذي يظهر أنه يهتم بنا بالنعم التي خلقها لنا ويثبت لنا أنه يحبنا هو الذي خلق هذه الأرض وما فيها، فأرضنا هذه تعرّفُنا بربنا من خلال نظامها وفصولها وبنائها البديع ومناظرها الطبيعية الرائعة، والآن أشكركم على حسن الاستماع وأتمنى لكم كل النجاح. ثم قام الشباب الذين استمعوا إلى العرض بتقييم المحادثة فيما بينهم؛ وأعربوا عن سرورهم بقولهم: "الحمد لله حضرنا هذا المؤتمر!".

لسان الكائنات السري

صعد المقدّمُ إلى المنصة مرة أخرى وقال:

-والآن أود أن أدعو متحدثا آخر إلى المنصة لإلقاء كلمته حول "لسان الكائنات السري".

اعتلت المنصة الأستاذة التي تحمل درجة بروفيسور في الاتصالات وقالت:

-أيها الشباب الأعزاء، ربما لا أحد منا لم يسمع كلمة "اتصال"، إن الاتصال له مكان مهم جدًّا في حياتنا جميعا.

نحن كبشر ننقل مشاعرنا ومعلوماتنا وأفكارنا إلى الطرف الآخر من خلال الاتصال اللفظي أو غير اللفظي، فالاتصال اللفظي هو الاتصال الذي نقوم به من خلال التحدث بلغتنا وكلماتنا، أما الاتصال غير اللفظي هو الاتصال الذي نقوم به من خلال لغة جسدنا وحالنا، فعلى سبيل المثال، عندما نلتقي بشخص ما فإن الابتسام لذلك الشخص يعبر

عن صدقنا ورضانا.

أعزائي الشباب، يمكننا معرفة ما إذا كان الشخص سعيدا أو تعيسا، فرحا أو غاضبا، متحمسا أو هادئا، من خلال النظر إلى وجهه ولغة جسده وسلوكه في تلك اللحظة، وعلى الرغم من أن هذا الشخص لا يقول ذلك بلسانه إلا أنه يقول الكثير بلغة جسده.

وكذا فإن زي الطبيب الأبيض أو السماعة الطبية حول رقبته، ورداء المحامي الذي يرتديه أثناء المرافعة، والزي العسكري للقائد والمسدس الموجود على حزام خصره، تعبر عن وظائفهم دون الحاجة إلى الكلام.

أعزائي الشباب، أحيانا يعبر الإنسان عن الكثير بصمته واستخدام لغة الحال، فمن خلال التزام الصمت يمكنه تحقيق نتائج أكثر مما سيحصل عليه مع الكلام، وقد ذكر أجدادنا قيمة لسان الحال بقولهم: "إذا كان الكلام من فضة، فالسكوت من ذهب"، وإذا أنعمنا النظر يمكننا أن نرى أن هناك الكثير من عناصر الاتصال غير اللفظي في الحياة.

على سبيل المثال، جميع العلامات التحذيرية واللوحات المرورية وإشارات المرور وحتى الألوان التي تلفت انتباهنا تخبرنا بأشياء دون كلام، وتتواصل معنا، كما يحكي لنا شاحن الهاتف الخاص بنا بلسان حاله وكأنه يقول "يمكنك أن تشحن بطاريتك بي!"، ولكن هذا الشاحن

يخبرنا أيضا بشيء عن أنه لا يمكنه شحن كل الأجهزة، كما أن سيارة الأجرة الصفراء المارة في الطريق تخبرك بأنه "يمكنك أن تسافر معي من مكان إلى آخر!"، كما أن هناك ساعة على الحائط تتحدث إلينا عدة مرات خلال اليوم بلا كلام وتذكرنا بالوقت وبمروره.

أُرسِلُ لكَ رسائل بلسان حالي فهل تدرك ذلك؟

أيها الشباب الأعزاء، إن جميع الكائنات تتمتع -تماما مثل الأمثلة التي ذكرت- بالقدرة على التواصل معنا بلسان الحال، وهذه الميزات أعطاها الله سبحانه وتعالى لها، وما أسهل التفاهم مع شخص نعرف لسانه، وكذلك إذا تمكنا من فهم لسان حال الكائنات في الكون فيمكننا بسهولة أن نفهم ما يريد الخالق أن يخبرنا به من خلال تلك الكائنات.

تقوم جميع الكائنات بدور الوساطة في الرسائل التي يريد ربنا أن يرسلها لنا، فهي تتحدث إلينا بلسان حالها الخاص بها فتخبرنا عن الله خالقها وتعرّفنا به، وهذا ما يسمى اصطلاحا "التحدث بلسان الحال"، حيث تعرفنا الكائنات بربنا بما فيها وما ليس فيها من الميزات، فإذا رأيت مثلا شخصا جاهلا يفعل شيئا يتطلب علما فهذه حالة تستدعي التفكير، لأن من لا علم له يخبرنا بجهله في هذا الأمر أنه لم يقم هو بهذا الأمر.

إن وصول شخص عاجز إلى نتيجة تتطلب قوة كبيرة جدًّا؛ ألا يدلنا على شيء؟ فعجزه يخبرنا أن شخصًا آخر قام بالعمل الذي يتطلب قوة، وإذا رأينا عملا فنيّا رائعا قام به شخص ليس لديه أي فكرة عن الفن والجمال، فعلينا أن نعلم أننا أمام حالة تحتاج إلى مزيد من النظر والتأمل، وهكذا يقول لنا كل كائن من الكائنات: يا ابن آدم! إني أرسل لك رسائل بلسان حالي فهل تدرك ذلك؟

أيها الأصدقاء الأعزاء، على سبيل المثال إن إعطاء النحلة العسل الحلو

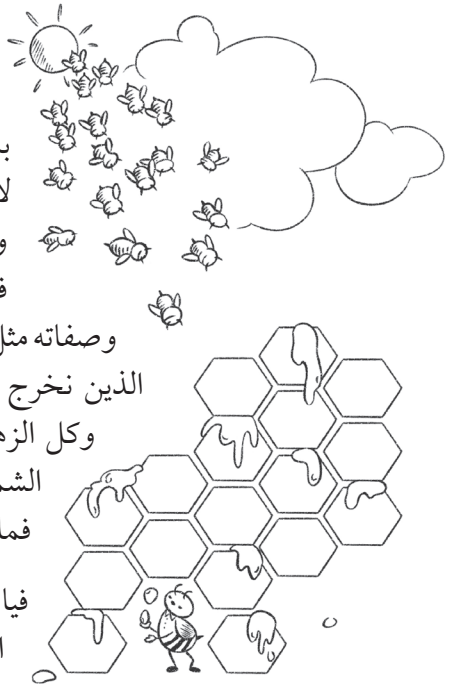

الشافي لنا وهي حشرة سامة هو رسالة لنا، والزهرة ترسل لنا الرسائل التالية بلسان حالها: "الجمال الموجود عندي لا يمكن أن يخلقه إلا الله الذي خلقني وخلق معي التراب والماء والضوء، فأنا دليل على وجود خالقي ووحدانيته وصفاته مثل أصدقائي الآخرين من الزهور، ونحن الذين نخرج من التراب ملك لمن يملك التراب، وكل الزهور في العالم مثلي تتلقى الضوء من الشمس نفسها وتستفيد من الهواء نفسه، فمالك الشمس هو مالكنا أيضًا".

فيا أيها الشباب الأعزاء، إن الإنسان الذي ينظر إلى الكائنات بنور الإيمان يدرك أن جميع الكائنات تتحدث إلينا بلسانها الخاص، ويستطيع فهم هذا اللسان في الكون.

أشكركم على حسن استماعكم إليّ، وأتمنى لكم جميعا حياة سعيدة وناجحة.

واشتد التصفيق مرة أخرى، لقد أدرك الشباب حقيقة أن الكائنات تتواصل مع الإنسان بلا كلام. وبعد ذلك حان دور عرض أستاذ الفنون الجميلة، ولكن كانت هناك استراحة لمدة نصف ساعة قبل هذا العرض، وكان الطلاب يتساءلون بينهم عما سيقوله المتحدث التالي. لقد كانوا يسجلون ملاحظات مهمة من كلمات جميع المحاضرين ويحاولون الاستماع إليهم بعناية قدر الإمكان.

لا يستطيع الجاهل أن يفعل شيئًا يتطلب علمًا

وفي هذه الأثناء خرج الجميع إلى مكان الاستراحة، واستأذن بعض الطلاب الأستاذ يوسف وتوجهوا نحو آلة بيع الأطعمة والمشروبات في الزاوية اليمنى من القاعة، فقد كانوا عطشى وجائعين قليلا، وكانت آلة البيع مليئة بالمشروبات والأطعمة كالماء والمشروبات الغازية والبسكويت، فعندما تضع النقود المعدنية في المكان المناسب فإن الطعام أو الشراب الذي أدخلت رقمه ينزل من القسم السفلي، وكان الأستاذ يوسف أيضًا يراقبهم من بعيد وقال لمن معه من الطلاب:

-هيا بنا إلى أصدقائكم فذهب الجميع إلى آلة البيع معًا، حيث لم يكن هناك مثل هذه الآلة في مدرستهم، لذا قام بعض الطلاب بالاطلاع عليها جيدًا.

قال الأستاذ يوسف:

-هل يمكن أن تكون هذه الآلة مثالا للتواصل غير اللفظي الذي شرحه أستاذنا للتو؟

قال مصطفى:

-نعم قد يكون الأمر كذلك يا أستاذنا، لأن آلة البيع هذه تخبرنا بلسان حالها حيث تقول: "إذا كنت تريد الماء مني، يمكنني أن أعطيك الماء، إذا كنت تريد البسكويت، يمكنني أن أعطيك البسكويت، إذا كنت تريد الشوكولاتة، يمكنني أن أعطيك الشوكولاتة."

قال الأستاذ يوسف:

-صحيح، هل لدى أي منكم رأي آخر؟

قالت بتول:

-أستاذي هذه الآلة ليس لديها ذكاء ووعي، فكيف يمكن أن تعرف أننا بحاجة إلى الماء والطعام؟ لابد أن هناك من يعرف الإنسان واحتياجاته هو قد وضع هذه الآلة هنا.

قال عريف الصف سعيد:

-أستاذي، إذا لم يكن هناك من يقوم بتزويد هذه الآلة بالمحتويات فلن تتمكن هذه الآلة من إعطاء أي شيء.

قال الأستاذ يوسف:

-هذا صحيح جدًّا، لقد فهمتم حقًّا التواصل الصامت من خلال لغة الحال، وكما تعلمون فقد قالت أستاذة الاتصالات التي ألقت كلمتها قبل قليل: "إن ظهور شخص جاهل يقوم بفعل يتطلب علما هو حالة تستدعي التفكير والتأمل" والآن نحن نطفئ عطشنا من خلال آلة البيع، فهل يمكن أن تكون هذه الآلة الجامدة هي التي تمدنا بالماء وتريحنا؟ وهل يمكن لهذه الآلة الخالية من المشاعر أن تعرف حاجتنا إلى تحلية أفواهنا؟ بالطبع لا يمكن أن تعرف؛ إذن ألا يجب علينا أن نبحث عن مصدر هذا؟ أليس هذا الحال ينطبق على التراب أيضًا؟ كيف يعرف التراب أننا جائعون؟ هل يمكن للتراب أن يعرف أننا سنكون راضين وسعداء إذا أعطانا القمح؟

قال الشباب بصوت واحد:

-بالطبع لا يمكنهم أن يعرفوا يا أستاذنا لأنهم لا يملكون مثل هذه القدرة.

-صحيح إنهم مجرد وسطاء، حيث تأتي النعم من خزائن رحمة ربنا بواسطتهم، ففي فصل الربيع من كل عام يرسل الله النعم من خزائن رحمته، ويملأ أغصان الأشجار التي تجف وتغدو مثل الهياكل العظيمة في الشتاء بالثمار في الربيع، ويحدث هذا كل عام، لأن خزائن رحمة الله غير المحدودة لا تنضب، ولكن إذا لم يكن هناك أحد يملأ آلة البيع هذه فلن تتمكن من إعطائنا أي شيء بمفردها، فقالت زينب:

-أستاذي، أليس الأمر كذلك بالنسبة لأجهزة الصراف الآلي التي تُسحب منها الأموال؟

نعم إنها كذلك أيضًا يا زينب، فليس هناك جهاز صراف آلي يعرف حاجتك للمال، ولا يمكن أن تكون معرفة الحاجة من وظائف كائنات تفتقر إلى الوعي والمشاعر، ومن ثم فهل يمكن لجهاز الصراف الآلي أن يمنحك المال إذا لم يكن هناك من يقوم بتزويده بالأموال!؟

لا لوحة بلا رسام

انتهت فترة الاستراحة، وأخذ الطلاب أماكنهم في القاعة مرة أخرى، واعتلى مقدم البرنامج المسرح ودعا أستاذ الفنون الجميلة إلى المنصة، فصعد الأستاذ الذي بدا أنه في الخمسينيات من عمره على خشبة المسرح وسط التصفيق وبدأ يتحدث ببطء، وقال إنه سيلقي كلمته وهو يمشي على المسرح وليس على المنبر، وعُرضت صورة على الشاشة العملاقة على المسرح.

كانت هناك لوحة زيتية في الصورة، وكانت في هذه اللوحة فراشات ملونة ومختلفة تحلق فوق الزهور، قال أستاذ الفنون الجميلة:

"أود أن أدعو طالبًا متطوعا من بينكم إلى المسرح، حيث أرغب في تفسير هذه اللوحة معه"، وعندما قال هذا رفعت زينب رسامة الصف يدها على الفور، والتقت عيناهما، ولقربها من المسرح دعاها أستاذ الفنون الجميلة قائلا: تفضلي، كانت زينب متحمسة وسارت بسرعة إلى المسرح وفي رأسها تدور أفكار من قبيل: "نعم أنا أحب الرسم لكن كيف سيكون تفسير لوحة مع أستاذ جامعي؟"، ووقفت بجانب الأستاذ، وهنأها الأستاذ في البداية على ثقتها بنفسها، ثم سألها عن اسمها وطلب منها أن تكون مرتاحة.

-نعم يا زينب، الآن لنقيّم هذه اللوحة الجميلة معا، ماذا تقول لنا هذه اللوحة؟ لنفسرها معا.

-حسنا سأحاول، إنني أرى فراشات مرسومة على القماش، وكل فراشة جميلة جدًّا وبديعة ومختلفة بعضها عن بعض، كما أن هناك سماء صافية في الخلفية وهناك زهور وأشجار ملونة أيضا. والفراشات تطير، وهناك أيضا لوحة رسم، وأرى عليها ألوانا وفُرَشا مختلفة بأحجام مختلفة.

-تصويركِ جميل جدًّا يا زينب، فهل تعتقدين أن هذه اللوحة يمكن أن تتشكل من تلقاء نفسها؟

-أبدا، أيعقل هذا؟! لا يمكن أن يرسم هذه اللوحة الجميلة إلا رسام ماهر، ثم إن الرسام وضع أيضا توقيعه أسفل اللوحة.

-هذا صحيح، واسم الرسام واضح في توقيعه، وبالطبع لقد رسم هذه اللوحة رسام، لأنه لا لوحة بلا رسام، ولا يمكن لأي تمثال أن يكون من تلقاء نفسه، وقد رُسمت هذه اللوحة الجميلة نتيجة مشاعر وقدرات رسام ماهر. عزيزتي زينب، أريد أن أسألك سؤالا آخر، هل تعتقدين أنه يمكن أن تكون الألوان الموجودة في اللوحة قد تناثرت عشوائيًا يمنة ويسرة لإنشاء أشكال الفراشات المختلفة هذه؟

-لا، لا يمكن!

-لماذا؟

-لأنه لا يصدر شكل منتظم عن ألوان متناثرة عشوائيا، كما أن الألوان ليست لديها موهبة لرسم هذه الصورة.

-أهنئك يا زينب، لقد أصبت، فالألوان الجامدة المستخدمة في رسم الصورة لا يمكن أن تكون رسام الصورة، والفرشاة المستخدمة في رسم الصورة لا تمتلك مهارات الرسام، كما أن ورق القماش بعيد كل البعد عن أن يكون رسامًا.

ثم التفت أستاذ الفنون الجميلة إلى القاعة من جديد وبدأ في الشرح.

-أيها الأصدقاء، إذا سمحتم لي أود أولا أن أعترف لكم بشيء، فتحمس الحاضرون في القاعة وخاصة زينب، فقد تحمست جدًّا.

وتابع الأستاذ:

-أنا أيضًا أرسم صورًا للفراشات في بعض الأحيان، فآخذ الفراشة كنموذج وأنظر إليها، وأتمعن فيها ثم أبدأ في رسمها، فأبدأ برسم أحد الجناحين، ولكن عند رسم الجناح الآخر يجب أن أكون أكثر حذرا واهتماما.

قالت زينب بفضول:

-لماذا تكون حذرًا ومهتمًّا عند رسم الجناح الآخر؟

أجاب الأستاذ بابتسامة:

-لأنني عندما أرسم الجناح الآخر للفراشة، فإنني أتخذ الجناح السابق مقياسا له، وهذا يتطلب الاهتمام والحذر، لأن كلا جناحي الفراشة لهما نفس التماثل والنظام الممتاز والمقاس الرائع.

وبينما كان أستاذ الفنون الجميلة يشرح هذه الأمور، كانت الرسامة الصغيرة زينب تهز برأسها موافقة الأستاذ على كلامه بناءً على تجربتها في الرسم.

الفاعل ليس من جنس المفعول

شكر أستاذ الفنون الجميلة زينب وطلب منها العودة إلى مكانها.

-نعم أيها الأصدقاء الأعزاء، لقد رأينا جميعا أنه ليس هناك لوحة بدون رسام بل يستحيل ذلك! لأننا عندما نمعن النظر في مرحلة ظهور لوحة معينة فإننا نجد أمامنا لوحة ورساما قام برسم تلك اللوحة، فاللوحة هي المفعول أي الشيء الذي يجري عليه الفعل، والرسام هو الفاعل أي الشخص الذي قام برسم وتلوين وضبط قياسات اللوحة فهو يتمتع بمؤهلات معينة عالية المستوى، وقد يكون هناك رسام بدون لوحة، لكن اللوحة لا يمكن أن تكون بدون رسام، وهنا نقطة مهمة للغاية هي أن الرسام ليس من جنس اللوحة، أي إن الفاعل ليس من جنس المفعول، فيجب أن تكون هناك خصائص مختلفة عالية المستوى للفاعل، ويجب أن يكون لدى الرسام الكثير من المعرفة والمهارة ويكون قادرا على تطبيقها مثل المعرفة بالضوء والمنظور البصري والتصور بثلاثي الأبعاد وتناغم الألوان من أجل قياس الصورة ورسمها، وهذه الخصائص غير موجودة في اللوحات أو في الفُرَش أو في الألوان.

والأمر هو نفسه في التماثيل أيضا، فحتى التمثال العادي لا يمكن أن يكون من تلقاء نفسه، ولا يمكن لأي تمثال أن يصنع نفسه بنفسه، وأنا كوني أستاذا للفنون الجميلة، لم أشهد قط الألوان والفُرَش ترسم لوحة

بشكل عفوي دون وجود رسام حي عاقل، ولم يسبق لي أن وجدت مطرقة قادرة على نحت تمثال بمفردها، ولم أقابل أحدا ممن صادفوا ذلك.

وتابع الأستاذ كلامه قائلا:

-إذن دعونا نفكر معا في فراشة حقيقية، نعم فراشة حقيقية تطير وتتنفس ولديها جهاز تنفسي وأجنحتها ترفرف ولا تكف عن الحركة، ولديها جهاز للدورة الدموية حيث تحتاج إلى نظام يضخ الدم للحفاظ على رفرفة أجنحتها باستمرار، كما أنها تحتاج إلى جهاز هضمي حتى تنمو وتكبر، كما تحتاج إلى العديد من الأجهزة والأعضاء من أجل حركتها والحفاظ على حيويتها، وخاصة من أجل التواصل مع العالم والبحث عن قوت يومها، فحتى أن رسم فراشة جامدة على الورق لا يمكن رسمها إلا بواسطة خبير، أليس كذلك؟ إذن كيف يمكن أن نتصور أن فراشة حية مفعمة بالحيوية تكون بدون خالق؟

سيقوم صديق لي من قسم العلوم بالإجابة عن هذا السؤال وشرحه لكم، والآن أريد أن أترك الكلمة له، أشكركم على حسن الاستماع إليّ باهتمام، ودمتم بخير.

ظهر مقدم البرنامج على خشبة المسرح مرة أخرى، وشكر أستاذ الفنون الجميلة على عرضه الجميل ودعا أستاذ العلوم إلى المنصة، وقد بدا

أستاذ العلوم كبيرا في السن إلا أنه كان مفعما بالحيوية، وألقى التحية على الحاضرين في القاعة بصوته الجهوري وعرض نصّا على الشاشة، فقد كُتبت جملة على الشاشة يصعب فهمها.

رهام ماسر دوجو نم دب ال ةشارف مسر لجأل بتح

سأل الأستاذ جميع الحاضرين في القاعة:

-ما المكتوب هنا برأيكم؟ فنظر الجميع الى الكلمات المكتوبة، ولكنهم كانوا عاجزين عن الردّ، وفجأة قال أحد الجالسين بالصفوف الامامية والذي كان يدرس في مدرسة أخرى: "وجدتها!"، فقال له أستاذ العلوم: "تفضل يا بني!".

قال الشاب: مكتوب أنه "حتى لأجل رسم فراشة لابد من وجود رسام ماهر"، وقد كانت هذه الجملة هي التي كتبت فعلا، فهنأ الأستاذ الشاب وأثنى عليه، ثم تابع كلامه:

-لقد كتبتُ الجملة معكوسة لأجل لفت انتباهكم، أحسنتم، لقد حللتم بسرعة. يا شباب، أريد أن أتابع من حيث توقف زميلي، تنقسم الفراشات علميا إلى قسمين: فراشات النهار وفراشات الليل، فهل كنتم تعلمون أن للفراشات مئة وخمسون ألف نوع؟ لكل فراشة حيّة طائرة ملوّنة روابط كثيرة مع البيئة التي تعيش فيها، على سبيل المثال فراشات النهار تحتاج إلى ضوء الشمس من أجل أن تجد طريقها ووجهتها، حيث أن رفرفة جميع الفراشات بسلاسة متعلق بقانون الجاذبية الأرضية، وتربطها علاقة وطيدة مع الأزهار وغبار الطلع، كما أن الفراشات التي تعيش شهرا أو شهرين لا تتلقى دروسا عن الطيران في أي مكان، ولكنها تطير دون معرفة قوانين الطيران، وخاصة أن أنظمة الشمّ والسمع عند فراشات الليل عجيبة جدا وذات حساسية عالية، وهناك بعض الأنواع التي

تستطيع أن تشمّ رائحة الفراشات الأخرى عن بعد ٥ كيلومترات.

نعم يا أحبائي، لا بد لمن يصنع أو يخلق الفراشات أن يملك الصفات التي ذكرتها آنفا، فقبل كل شيء يترتب عليه معرفة جميع البيئات التي تعيش فيها والتي تتعلق بالفراشة ويجب عليه أن يصممها وفقا لذلك، لأن تلك الفراشات مصممة للعيش في ذلك النظام والبيئة، ويترتب عليه معرفة الصلة بين الفراشة وبين الشمس، وبينها وبين الجاذبية الأرضية، وفالذي لا يعرف هذه الأمور لا يمكن أن يكون مالك الفراش وخالقه.

أصدقائي الأعزاء، إن بعض المخلوقات مثل الذباب والفراش لا يخلق منها فرد واحد، بل يكون خلقها بسرعة وبأعداد هائلة لا نحصيها، وبالرغم من خلقها بأعداد كبيرة وسرعة فائقة إلا أنها تحمل نفس الدقة والكمال والجمال، فكل واحدة منها أثر إبداع عجيب.

كل شيء مرتبط بكل شيء

يجب أن يُسخَّر للفراشة كل ما يجب من أجل حياتها وغذائها وطيرانها، أي إن مالك الفراشة هو مالك الشمس كذلك، فمن لا يملك الشمس لا يستطيع أن يجعل الفراشة مبصرةً، لأن الفراشة بحاجة إلى الشمس. وهناك تكامل في الكون، وكل شيء ذو صلة بجميع الأشياء، فرؤية كل كائن حي وطيرانه وحياته مرتبطة بعوامل غير متناهية، فمن لا يعرف هذه العوامل لا يستطيع خلق الفراشة، ويجب على خالق الفراشة أن يخلق جميع تلك الأمور التي يجب لحياتها، فمن خلق عين الفراشة هو الذي خلق النظام الشمسي، لأن كل شي مرتبط بكل شيء.

لا يمنح الحياة من لا حياة له!

أريد أن أتوسع في هذا قليلا، فعلى سبيل المثال: إن الميزة الأكثر لفتا للانتباه التي تظهر على فراشة نشيطة هي الحياة، الحياة هي ميزة عالية المستوى، وأعتقد أن الذي يمكنه تقديم مثل هذه الميزة عالية المستوى يجب أن يملك صفات عالية المستوى، ولهذا السبب من أجل صنع كائن حي يجب أن يكون الذي يصنعه حيا، فكيف يمكن لمن لا حياة له أن يمنح الحياة لغيره؟ ولهذا السبب فإن الماء والتراب والهواء والشمس الجامدة لا يمكن أن تخلق فراشة.

أحبائي الشباب، إن الذي يمنع الفراشة وغيرها من المخلوقات العين يجب أن يكون مالك الشمس أيضًا؛ لأن العين لا يمكنها أن تعمل بدون الشمس، وإن الذي يمنح الفراشة جهازها السمعي لا بد أن يكون هو خالق الأصوات أيضا، فما فائدة الأذن إذا لم يكن هناك صوت؟ ولهذا

السبب فإن الله الذي يمنح الكائنات الحية حاسة البصر هو البصير أيضا، فهل يمكن لربنا الذي أعطى كل كائن حي جهازا سمعيا فريدا عجيبا أن يمنحنا هذه الصفة إذا لم يكن يسمع هو؟ وهل يعقل أن الله الذي يجعل جميع الكائنات الحية تتكلم فيما بينها بطرق مختلفة جدًّا، لا يعرف أن يتكلم؟

وبعد التصفيق عاد مقدم البرنامج إلى المسرح وقدم الاقتراح التالي.

-أصدقائي الأعزاء! لقد تعبتم قليلا والمواضيع رائعة جدًّا كالموضوع الذي شرحه أستاذنا للتو. ولكني أدرك من لسان حال الحاضرين في القاعة أننا نحتاج إلى أخذ قسط من الراحة للاستماع بعناية وحيوية أكبر، والآن إلى استراحة لمدة نصف ساعة وهي ضمن البرنامج، سيكون لدينا الشاي والضيافات في منطقة الاستراحة.

إذا كثرت الأيادي فسد الأمر

قُدم الشاي والكعك في منطقة الاستراحة، وجلس الشباب على كراسي الاستراحة في منطقة الاستراحة الكبيرة مع الأستاذ يوسف، وقد جذبت انتباههم أحواض السمك الكبيرة التي وُضعت في أجزاء مختلفة من منطقة الاستراحة، فذهبوا إلى أحدها ينظرون فيه، وقد كانت الأحواض رائعة حقا وفيها طحالب خضراء وأسماك بألوان مختلفة، وكانت فقاعات الهواء دائمة في الماء وعلى سطحه.

قال الأستاذ يوسف:

-هل لدى أحدكم حوض أسماك في المنزل يربي فيه سمكا؟

قالت بتول:

-نعم نحن لدينا في منزلنا يا أستاذنا.

-هل هناك صعوبة في العناية بها؟

-نعم يا أستاذنا، الأمر صعب بعض الشيء ولكن أبي يعتني بها، وأنا أساعده وهو عمل ممتع للغاية.

-هل يمكنك أن تخبرينا قليلا عن كيفية اعتناء والدك بها؟

-أستاذي، هناك توازنات مهمة جدًّا في الحوض، أبي يقول أحيانا: "الحياة عبارة عن توازن" فمحرك الأكسجين الكهربائي مثلا يعمل في الحوض ويضخ الأكسجين النظيف في ماء الحوض، ويجب ألا تكون كمية الأكسجين لا أكثر ولا أقل أيضا، فيجب أن يكون في توازن تام، وفي إحدى المرات ذهبنا في إجازة، وتعطل محرك الهواء وحرمت الأسماك من الأكسجين، ففقدنا كل أسماكنا، كما أن نظافة الحوض مهمة جدًّا أيضا، إذ نقوم بتنظيف المياه عن طريق تنقيتها باستمرار من خلال مضخ كهربائي، حيث بقايا الأسماك تلوث المياه، فلا يمكن للأسماك أن تنمو في المياه القذرة حيث تصاب بالمرض، ولهذا الغرض نقوم بشراء سمك القرموط (أبو شوارب) التي تتغذى على أوساخ الحوض لكي تقوم بتنظيفه.

كما أن أبي لا يريد أن يتدخل شخص آخر حتى لا يضطرب التوازن والنظام في الحوض، ولن أنسى أبدا أنه في إحدى المرات زارنا ابن عمي في بيتنا، ومن دون علم أبي قام بإلقاء العلف الخطأ وبزيادة عن الحد المسموح إلى الأسماك مما تسبب في مرض أسماكنا، وفي ذلك الوقت شرح لنا أبي معنى المثل: "لا يكون رئيسان في مكان واحد، وإلا فسد النظام".

قال الأستاذ يوسف:

-كما قلت يا بتول، الاعتناء بالحوض ليس سهلا.

قالت بتول:

-أستاذي، لم ينته الأمر بعد حيث نقوم بإطعام صغار الأسماك والأسماك الكبيرة في حجرات منفصلة، كما أن توازن الضوء في الحوض مهم جدًّا أيضا، فيجب أن يكون هناك ما يكفي من الضوء حتى لا تزعج الأسماك.

قال الأستاذ يوسف:

-هذا الأمر يتطلب حقا الاهتمام والرعاية، ما هو حجم حوض السمك في منزلك، هل هو بحجم الغرفة؟

قالت بتول:

-لا يا أستاذي، ليس كبيرا بهذا الحجم، بل يبلغ طوله مترا ونصف متر وعرضه سبعون سنتيمترا.

قال الأستاذ يوسف:

-ترون أيها الأصدقاء مقدار العناية اللازمة للحفاظ حتى على حوض أسماك صغير، حيث يتطلب اهتماما دائما ويجب تلبية احتياجات الأسماك في الوقت المناسب، وإذا تدخلت يد ثانية فسد النظام في الحوض.

حسنا، دعونا نفكر في الأمر بهذه الطريقة: من الذي يعتني بالأسماك في الجداول والبحيرات والأنهار والبحار والمحيطات؟ من يحافظ على توازن الأكسجين هناك؟ من يطعم ويدير الأسماك والكائنات المائية الأخرى هناك؟ من يوفر النظافة لها؟

على سبيل المثال، لنفكر في الكائنات البحرية التي تُعطى أرزاقها تامة في رمال بسيطة ومياه بسيطة، وعلى الرغم من أن بعض الأسماك تضع ملايين البيوض إلا أن توازن الكائنات الحية في البحار لا يختل، فمن الذي يحقق بهذا التوازن المثالي، ومن يحافظ عليه؟

أحبابي الشباب، دعونا نفكر في الأمر! إن كرتنا الأرضية تدور بسرعة في فراغ الفضاء ومع ذلك فالبحار والمحيطات لا تجتاح الأرض، ويستمر النظام المثالي، وإن حقيقة وجود النظام واستمراره بشكل مثالي دليل على أن هذه الأعمال ينفذها ويديرها مصدر واحد، ولو كان هناك خالق ثانٍ لتعقدت الأمور واختل النظام، لأنه إذا كثرت الأيادي فسد النظام، فلا يمكن أن تكون إدارة البحار وتنظيمها والاعتناء بها وتغذية المخلوقات الموجودة فيها إلا بمعرفة وقوة ربنا الواحد.

واحتسى الطلاب الشاي وهم يستمعون إلى شرح الأستاذ يوسف.

المحاضر الذي كان مفاجأة

انتهت فترة الاستراحة بسرعة، وعاد جميع الطلاب إلى القاعة وجلسوا في مقاعدهم بهدوء، وكانوا متحمسين أكثر لما سيقدمه المحاضر الجديد، وأعلن مقدم البرنامج عن الدكتور يوسف الحاصل على الدكتوراه في العلوم الإسلامية من جامعة إسطنبول الإسلامية العلمية، وكان المحاضر الأخير مفاجأة حقا، وقد كان الشباب مندهشين وسعداء، فلم يعرف الطلاب هذا الجانب من أستاذهم على الإطلاق، وعندما صعد أستاذهم إلى المنصة كانت الفرحة في داخلهم جميعا جديرة بالمشاهدة، وكانوا جميعا فخورين بأستاذهم، حيث نظر بعضهم إلى بعض بفرح، وصفقوا في البداية ثم استمعوا إلى الأستاذ يوسف بكل اهتمامهم.

قال الأستاذ يوسف:

-أعزائي الشباب وأساتذتي الأجلاء، أود أن أشارككم أربعة من أركان

الإيمان الستة بطريقة قصيرة وموجزة، أصدقائي الأعزاء، هناك ستة أركان للإيمان حيث بيّنَ نبينا صلى الله عليه وسلم أركان الإيمان الستة هذه بأنها "الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والقضاء والقدر وأن الخير والشر من عند الله"، والآن أود أن أشرح بإيجاز أركان الإيمان الستة بالترتيب المذكور في دعاء "آمنتُ".

كل قصيدة تظهر شاعرها

أيها الشباب الأعزاء، الإيمان بالله هو الإيمان بوجود الله ووحدانيته وأنه لا شريك له وهو الذي خلق كل شيء من العدم، وكل ما في الكون دليل على وجود الله، فكما أن الأثر البديع دليل على صانعه فإن كل ما في الكون دليل على وجود الله الذي خلقه، ومثلما لا يمكن تصور قصيدة بدون شاعر أو مبنى بدون مهندس معماري، كذلك لا يمكن تصور كون بدون خالق، ومن ناحية أخرى فإن وجود النظام وغياب الفوضى في الكون دليل على وحدانية الله، وإن النظام الرائع والنظام المثالي الذي نراه في كل مكان في الكون بدءا من الذرات وانتهاء إلى المجرات، يدل بوضوح على وحدانية الله وأنه لا شريك له، فحيثما كان النظام كانت فيه الوحدة، لأنه لو كان هناك رئيسان في بلد أو محافظان في مدينة أو مديران في مدرسة، لحدث اضطراب واختلاط في كل شأن من شؤون ذلك البلد وتلك المدينة وتلك المدرسة، مثلا كيف سيكون الحال لو كان لمدرستكم مديران؟ ألن تتعقد الأمور؟! ألن يعترض أحدهما على القرار الذي يتخذه الآخر، فتحدث المشاكل!؟!

عدم رؤية الملائكة لا يعني عدم وجودهم

-أصدقائي الأعزاء أود أن أطرح عليكم سؤالا، هل زار أحد منكم أستراليا؟ فمن زارها فليرفع يده! فلم يرفع أحد يده في القاعة، نعم هل هناك قارة في العالم تسمى أستراليا؟

فقال الجميع: "نعم".

قال الأستاذ يوسف:

-أيها الشباب الأعزاء، تعيش الملائكة في عالم مختلف عن البشر حيث يختلف العالم الروحي الذي تعيش فيه الملائكة عن عالمنا، وعلى الرغم من أننا لم نقم بزيارة قارة أستراليا من قبل ولم نشاهد الناس الذين يعيشون هناك، إلا أنه ليس لدينا شك في وجود هؤلاء الناس، كما أن ذهاب أحدنا إلى هناك والتقاءه بهم دليل قوي لنا جميعا على وجودهم، وكذلك نتعرف على وجود الملائكة من جميع الأديان التي أرسلها الله ومن الأنبياء الذين التقوا بهم ومن الكتب المقدسة التي أرسلها ربنا.

أصدقائي الأعزاء، الملائكة كائنات واعية مخلوقة من النور لا ترى بالعين المجردة، فهم يؤدون المهام المختلفة التي كلفهم بها ربنا، ولكن عدم رؤيتهم لا يعني أنهم غير موجودين، لأننا نتقبل دون تردد وجود أشياء كثيرة لا يمكننا رؤيتها بأعيننا فهناك مثلا بعض الكائنات الحية الدقيقة التي لا يمكن رؤيتها إلا باستخدام المجهر، وهناك أيضا بعض الكواكب والنجوم لا يمكن رؤيتها إلا من خلال المنظار أو التلسكوب، وعلى الرغم من أننا لا نراها إلا أننا نثق بالعلماء الخبراء في هذا المجال، وبما أن جميع الأنبياء الذين هم رسل ربنا الموثوق بهم، هم خبراء في المجال الروحي، فيقولون: "الملائكة موجودون وحقيقيون، وقد التقينا بهم"، وبهذا يكونون دليلا على إيماننا.

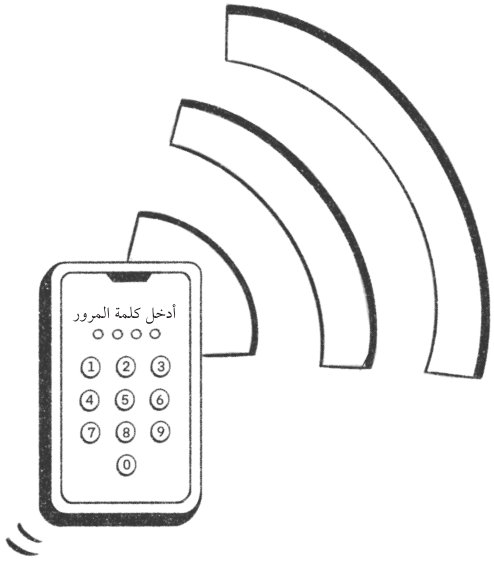

والحقيقة أننا لا نستطيع رؤية الملائكة بأعيننا ولكن ذلك لا يعني أننا يجب أن نشك في وجودهم، لأن هناك العديد من الأشياء التي ليس لدينا شك في وجودها رغم أننا لا نراها، فمثلا نحن لا نرى الموجات الكهرومغناطيسية في هواتفنا المحمولة بأعيننا ولكننا نتقبل وجودها بشدة، وهناك العديد من الموجودات في فراغ الهواء مثل موجات الراديو والموجات الصوتية وموجات التلفزيون، ولكن لا يمكننا رؤيتها أيضا، وعدم استطاعتنا رؤيتها لا يعني أنها غير موجودة.

أيها الشباب الأعزاء، إن حقيقة عدم قدرتنا على رؤية الملائكة تعني أنهم "لم يظهروا لنا في الوقت الحاضر" في دنيا الامتحان التي نحن فيها، وهذا يعني أيضا أننا على الأرض لسنا في وضع يسمح لنا برؤيتهم.

أصدقائي الأعزاء، الآن أود أن أتحدث قليلا عن الإيمان بالكتب، فلقد أرسل الله الأنبياء ليبينوا لنا الطريق الصحيح ويعلمونا القواعد التي تسعدنا في الدنيا والآخرة، إذ الأنبياء يبيّنون للناس المسائل التي لا

يستطيعون الإجابة عنها بعقولهم، وأنزل ربنا كتبا وصحفا على بعض رسله، أما الأنبياء الآخرون الذين لم يؤتَوا كتبا وصحفا فقد قاموا أيضا بواجباتهم وفقا للكتب أو الصحف التي أوتيت للأنبياء الذين سبقوهم.

أما الكتب الأربعة العظيمة والأنبياء الذين أنزلت عليهم وهي التوراة للنبي موسى عليه السلام، والزبور للنبي داود عليه السلام، والإنجيل

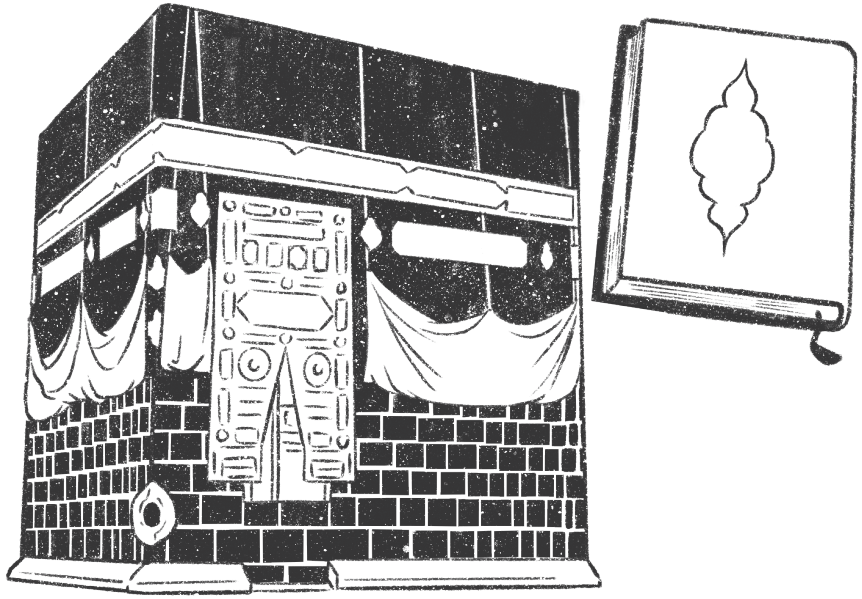

للنبي عيسى عليه السلام، والقرآن لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولم تبق الكتب الثلاثة الأولى كما أنزلها الله، بل قام الناس بتغييرها وتحريفها لمصالح دنيوية بمرور الوقت، ففقدت هذه الكتب صلاحيتها، بينما كتابنا المقدس القرآن الكريم لم يتغير منذ نزوله على نبينا صلى الله عليه وسلم حتى اليوم، وكما وعد ربنا فإن القرآن الكريم سيبقى صالحا دون تحريف إلى يوم القيامة.

البشرية محتاجة إلى الأنبياء عليهم السلام

أصدقائي الأعزاء، الأنبياء عليهم السلام هم بشر اختارهم الله وأرسلهم من بين الناس وهم مرشدون أسوة وقدوة يحتذى بهم، وتاريخ الأنبياء يبدأ مع الإنسان الأول الذي هو سيدنا آدم وهو النبي الأول، وكما يحتاج الناس إلى معلم يعلمهم ما لا يعرفونه، فإنهم يحتاجون أيضا إلى أنبياء يعلمونهم مسائل مثل الإيمان والعبادة والأخلاق.

أيها الشباب الأعزاء، ليس في الكون شيء بلا هدف؛ لأن الكون هو أثر الله الحكيم، والأنبياء هم رسل يعرّفون الناس بالله ويخبرونهم عنه سبحانه من خلال آثاره التي خلقها، ولقد كشف لنا ربنا من خلال أنبيائه لماذا خلق البشر وغيرهم من الكائنات وماذا يريد منهم، وقد أصبح هؤلاء الرسل من خلال معيشتهم قدوة في الأمور المتعلقة بالعبادات والأخلاق والحياة الاجتماعية التي أنزلها الله عليهم.

وكما نحتاج إلى الأطباء لنكون سالمين ولمعالجة أمراضنا المادية، نحتاج كذلك إلى الأنبياء الذين هم أطباء نفسيون يعالجون مشاكلنا المادية والروحية والنفسية وأمراضنا الشخصية والاجتماعية.

إن الأنبياء عليهم السلام يخبرون عن هدف الإنسان في الدنيا ويعلمون الناس الحقائق التي أخبرهم الله بها، ولا يمكننا أن نعلم معنى وجود الإنسان في الدنيا والغاية من خلقه إلا من الأنبياء، حيث يعلّم الأنبياء البشر ما يجب عليهم فعله وكيف يفعلون ما سيفعلونه وخاصة لماذا يجب عليهم أن يفعلوا ما سيفعلونه، ومن خلال هؤلاء الرسل الكرام يمكن للمرء أن يتعلم ما الذي سيكسبه إذا فعل ما يجب عليه فعله وما الذي سيخسره إذا لم يفعل ذلك.

والأنبياء عليهم السلام هم رسل ربنا الذين اختارهم من بين الناس، حيث يخاطب الله سبحانه وتعالى الأنبياء من خلال الوحي، وقد أعطى

الله رسله المعجزات التي تثبت أنهم أنبياء، والمعجزات هي أشياء خارقة تعطى للأنبياء ولا يمكن للآخرين تقليدها، وعلى سبيل المثال: النار لم تحرق النبي إبراهيم عليه السلام، وتحولت عصا النبي موسى عليه السلام إلى حية، ومن بعض معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر إلى شقين بإشارة إصبعه وتدفق الماء من بين أصابعه، وفي هذا الصدد يجب ألا ننسى أن الله هو الذي يخلق المعجزات.

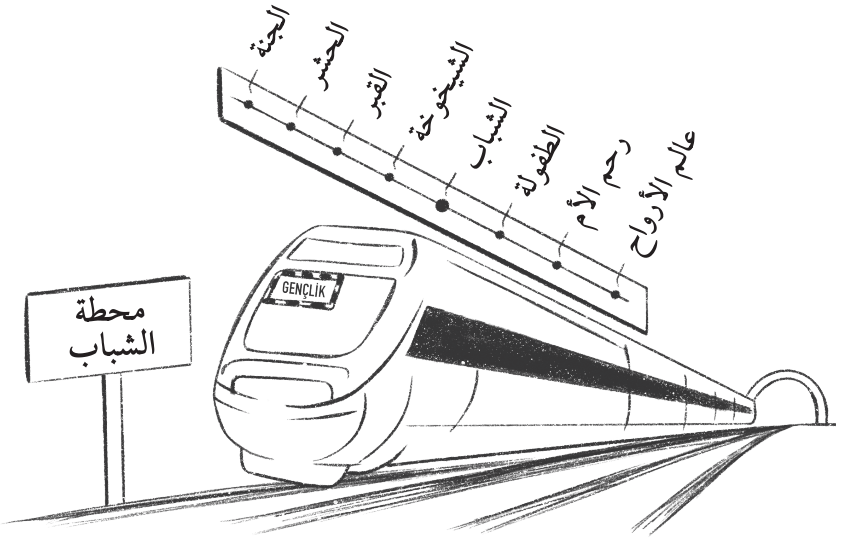

ستكون هناك حياة الآخرة

أيها الشباب الكرام! إن الإيمان بالآخرة يعني الإيمان بالعالم الأبدي الذي سيبدأ بعد قيام الساعة.

إن دنيانا هي ساحة اختبار، ولقد أُرسل الإنسان إلى الدنيا بمهمة، فالحياة الدنيا هي محطة قصيرة في رحلة طويلة، والإنسان هو مسافر فيها، فهو ينتقل من عالم الأرواح إلى رحم الأم، ومن الطفولة إلى الشباب، ومن الشباب إلى الشيخوخة، وهو مسافر ينتقل من الشيخوخة إلى القبر، ومن حياة القبر إلى ساحة الحشر، ومن هناك إلى الجنة الأبدية، فالحياة الدنيوية مهمة جدًّا في هذه الرحلة، ومن خلال أعمالنا فيها نحدد كيف سنعيش حياتنا الأبدية، لأن الدنيا هي مزرعة الآخرة، فما يزرعه الإنسان هنا يحصده في الآخرة، فكما نعمل من أجل حياتنا الدنيوية، يجب علينا أيضا أن نعمل من أجل حياتنا الأخروية التي هي حياة أبدية، ألا تكافئ حتى دولة عادية في الدنيا أولئك الذين يطيعون القانون وتعاقب أولئك

الذين يعصون؟ بالطبع هو كذلك بل هو مقتضى القانون، وربنا كذلك سيكافئ أولئك الذين يؤمنون به ويطيعونه وهي الجنة، وسيعاقب أولئك الذين يعصونه ولا يتّبعون نبيَّنا صلى الله عليه وسلم بما يستحقونه.

الخلق الثاني أسهل من الخلق الأول

إن الله سبحانه سيبعث الناس بأجسادهم بعد مماتهم، وهذا بالنسبة له سهل للغاية، ولقد خلق الله كل شيء من لا شيء بسهولة بالغة، فالخلق الثاني أسهل من الأول، وإذا قلنا إن الخلق الثاني أمر صعب بعد أن رأينا وقبلنا الخلق الأول، فإننا نكون قد قلنا شيئا غير منطقي، ويمكننا فهم هذا الأمر بشكل أفضل من خلال هذا المثال:

إننا نرى أن مدير مدرسة قام في اليوم الأول من الدراسة بتنظيم الآلاف من الطلاب بسهولة وحدد لهم معلميهم وأماكنهم في الصفوف الدراسية، وقام بوضع جدول الدروس وإعلانه وبدأت الدروس، ثم رن جرس الاستراحة، وانتشر الطلاب في جميع أنحاء المدرسة للاستراحة، والآن هل يمكن لأحدهم بعد ما رأى مدير المدرسة وقد قام بالترتيب الأول بسهولة، أن يقول: "لا يمكن لمدير المدرسة أن يجمع مرة أخرى الطلاب الذين تفرقوا للاستراحة في الفصول الدراسية بصوت جرس؛ ولن أصدق ذلك إذا لم أر بعيني!"؟ بالطبع لا يمكن أن يقول، وإذا قال ذلك ألا يكون مسخرة وأضحوكة؟

نعم لقد وضع المدير النظام في المدرسة بعد أن لم يكن، ومازال يحافظ عليه، وإن المدير الذي يقوم بذلك بسهولة يسهل عليه أكثر إعادة تجميع الطلاب بقرع الجرس بعد أن دخلوا في النظام وأصبحت أماكنهم معروفة وتعارفوا.

وكذلك بعد قيام الساعة سيكون إحياء الإنسان للمرة الثانية أسهل من الإحياء الأول، وكما في المثال أعلاه فإن ربنا سبحانه خلق البشر من

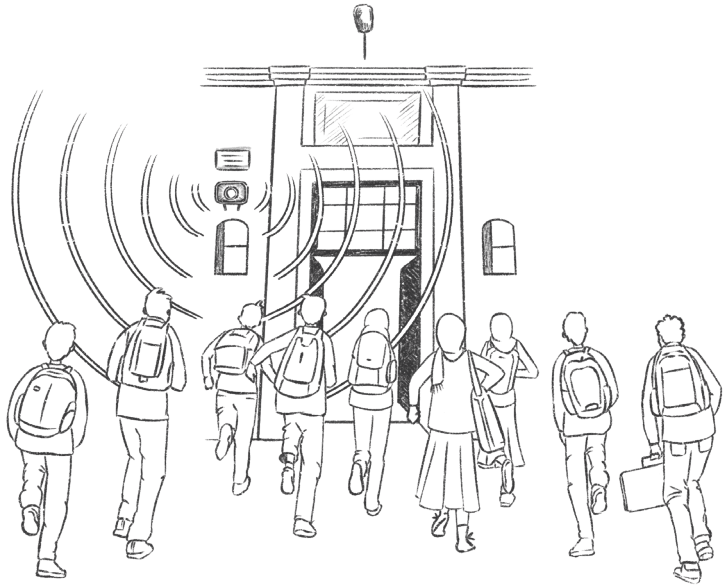

العدم، وقد تعرفت الخلايا والأعضاء في أجسامنا وتعاونت معا طوال الحياة في الدنيا، وعندما تموت سوف تتفكك الخلايا للاستراحة، وفي يوم المحشر سيجمع ربنا بصوت بوق إسرافيل عليه السلام خلايا أجسادنا المتفرقة التي تشبه طلاب المدرسة المنتشرين في أماكن مختلفة، وهذا ليس صعبا على الله على الإطلاق، وستعود جميع الخلايا لتجتمع معا مرة أخرى في الأجساد التي خدمت فيها خلال فترة الدنيا، ثم سيقوم الله بمحاسبة الإنسان على جميع أعماله في الدنيا.

نعم، عندما نفكر في الأمر عقليا ومنطقيا، نجد أن القيام بشيء للمرة الثانية أسهل من القيام به للمرة الأولى. وفي تاريخ البشرية كان اختراع أشياء مثل الطائرة والتلفزيون والحاسوب صعبة في البداية، ولكن بعد ذلك كان من السهل جدًّا جمع الأجزاء المتناثرة من هذه الأجهزة وإعادة تجميعها مرة أخرى، فالله الذي خلق الإنسان في المرة الأولى ليس عاجزا عن خلقه في المرة الثانية.

الإنسان حرّ في اختياراته

أيها الشباب الأعزاء، إن علم الله لا نهاية له، فالله عنده علم مطلق بكل شي، مهما كان الزمان والمكان، والقدر هو أن الله يعلم بعلمه المطلق كل ما كان وما يكون وما سيكون.

هناك مشيئتان تؤثران على الأشياء التي تحدث للإنسان، الأولى هي مشيئة الله العادلة التي يقدرها على عبده الذي سيخلقه حيث يتجلى ذلك في صفاته وطوله ولونه وجنسه وموطنه وجنسيته وفي محلّ ولادته ومولده لأي أبوين، إذ لا يحاسب الله العبد عن مثل هذه الأمور فهو ليس مسؤولا عنها، والمشيئة الثانية يا أحبابي هي مشيئة الإنسان الحرة، أي هي حرية الاختيار، وبهذه المشيئة يملك العبد الخيار في أمور الخير والشر والمعروف والمنكر، فالإنسان حر تماما في هذه الاختيارات، وليس أسيرا لقدره، ولو كان الإنسان أسيرَ القدر، لما حُمد و أثيب على معروف، أو عُوقب على منكر.

نعم، لقد أعطانا الله جميعًا إرادة حرة، وكلنا يعرف ذلك في نفسه، والله تعالى كتب في القدر اختيارات الإنسان التي سيقوم بها بإرادته؛ لأنه علمها بعلمه غير المتناهي، ومهما كانت الطريقة التي سنستخدم بها مشيئتنا، فإن القدر قد أحاط بها علما وكتبها بالفعل، أي إن الانسان ليس مجبرا أن يعيش وفق ما يكتبه القدر، فنحن بإرادتنا الحرة ندرس أو لا ندرس، ونلعب ألعابا بإرادتنا، ولا يحق للطالب المنغمس في اللعب ولا يدرس ودرجاته سيئة أن يقول: "ما ذنبي أنا؟ هذا قدري".

البشر مسؤولون عن نتائج اختياراتهم الحرة، فعلى سبيل المثال، عندما يشتري أحد فاكهة من السوق، فإنه يتفحص الفاكهة بعقله وإرادته، ولا يأخذ الثمار الفاسدة أو المكبوسة، بل يختار ما يشاء، وإن فعل الاختيار هذا هو دليل على أن إرادتنا حرة، وإلا لوضع الفاكهة الفاسدة

والمسحوقة التي اشتراها عشوائيا في كيس وقال: "ما بيدي حيلة، هذا هو قدري!" فهل يستطيع أن يقنع أحدا بقوله ذلك؟

ختم الأستاذ يوسف كلامه بقوله: "شكرا لكم على حسن استماعكم "، وعاد لمقعده على أصوات التصفيق.

صفق الشباب لأستاذهم بقوة أكبر، وكان البرنامج مفيدا حقا، وقد شارف على نهايته، وشكر مقدم البرنامج إدارة الجامعة والأساتذة وكل من ألقى كلمة على تنظيم مثل هذا البرنامج الرائع.

كل شي له غاية فكيف يكون الإنسان بلا غاية!

ودعا المقدّم نائب رئيس جامعة إسطنبول الإسلامية العلمية إلى المنصة لإلقاء الكلمة الختامية، وصفق جميع الطلاب لنائب رئيس الجامعة، ثم قال نائب الرئيس بصوت حماسي:

-أيها الشباب الأعزاء، لقد استمعنا إلى كلمات مفيدة جدًّا من أساتذتنا الكرام، ولقد تابعتم البرنامج جميعا باهتماما جزيلا لكم جميعا، وأنتم من يستحق التصفيق الحقيقي هنا، فأنتم وميض الأمل لأمتنا، وقال "أدعو الجميع للتصفيق لكم أيها الشباب"، وضجت القاعة بالتصفيق لفترة طويلة، وعندما انتهى التصفيق، قال نائب رئيس الجامعة:

-أيها الشباب الأعزاء، سيكون العالم أجمل عندما تفهمون وتعيشون ديننا الجميل الإسلام الذي هو أمل البشرية، وإن الإنسان المؤمن الذي يعرف ربه ويعرف سبب إرساله إلى هذا العالم هو فرصة للبشرية، فها هم قدوتنا من الصحابة الذين علمهم نبينا الهادي، فقبل إيمانهم كانوا في جهلٍ وظلمات، وبعد إيمانهم أصبحوا فجأة معلمين قدموا دروسا في الإنسانية والحضارة لأكثر الأمم تحضرا، مع أنهم كانوا في الماضي شديدي القسوة لدرجة أنهم كانوا يئدون بناتهم، ثم ارتقوا بالإيمان والإسلام إلى درجة أنهم كانوا يخافون فيه من إيذاء نملة، وما جعلهم بهذا الجمال إلا نور الإيمان الذي جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم.

أيها الشباب الأعزاء، كل الكائنات الحية لها هدف من الخلق، فهذا الكونٍ الذي خُلق فيه كل شيء لغاية معينة بداية من الذرات وانتهاء بالمجرات لا يمكن للبشر أن يكونوا بلا غاية، وقد خلقت حيوانات مثل الدجاج والأغنام والماعز ودودة القز لغاية معينة، فهل يخطر على البال أن يُترَك الإنسان سدى وبلا معنى بينما يستفيد من النتائج والنعم التي تقدم له من المخلوقات؟

إن البشرية التي تستخدم الحرير الذي تنسجه حشرة صغيرة ليست لها يدان من أوراق التوت الخضراء، يجب أن تعرف الله الذي أعطاها هذه النعمة وتحبه، فجميع الكائنات الحية وغير الحية تؤدي واجباتها ووظائفها على أكمل وجه، ويجب على الإنسان أيضا أن يؤدي الواجبات والمسؤوليات التي حددها الله له.

لقد أُرسلنا جميعا إلى الأرض بأجهزة فائقة، ووُلدنا بخصائص ذات قدرات عالية المستوى مثل الذكاء والوعي والتفكر والفضول والتعجب والحب والتي نتفوق بها على الكائنات الحية الأخرى، وإن كوننا مجهزين مزودين بمثل هذه القدرات الفائقة يجعلنا مميزين عن الحيوانات، وهذا دليل واضح على أننا أرسلنا إلى الأرض لهدف عظيم.

نعم أيها الشباب الأعزاء، يقول الله تعالى في الآية الأولى من قرآننا الكريم: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" [١] فيأمرنا بأن لا تكون القراءة عشوائية، وأيا كان ما نقرأه فينبغي أن نقرأه باسم ربنا الخالق سبحانه دون أن ننساه ودون أن نغفل عنه.

وعندما ننظر إلى الأشياء بهذه النظرة يصبح الكون كتابا جديرا بالقراءة، فكل علم يبين لنا الأشياء المتقنة والعجائب التي خلقها الله في الكون، ولهذا السبب عندما نتأمل تحفة يجب ألا نتغافل عن صاحبها ولا ننساها، ومن ثم فعلينا أن نعرف بالإيمان ربنا الذي لا نراه، من خلال آثاره التي نراها، ويجب علينا أن نسعى لتأمل تجلي ربنا ووحدانيته ورحمته وعدله وكرمه وجميع أسمائه وصفاته في كل شيء خلقه.

أيها الشباب الأعزاء، تحياتي وكل حبي واحترامي لكم، ويسعدني وجودكم هنا! وأود أن أنهي كلامي بدعاء نبينا الحبيب صلى الله عليه وسلم: "اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان،

١ () سورة العلق، الآية (١).

واجعلنا من الراشدين".

عقَّب جميع الطلاب والطالبات على هذا الدعاء الجميل بقولهم "آمين، آمين، وألف آمين!" وأصبح الجو أكثر جمالا مع هذه الكلمة الختامية، وكان الشباب يخرجون من القاعة وحديثهم لا يخلو من الدعابة والمرح فكان بعضهم يقول: "الحمد لله على حضورنا، ما أسعدنا!" وكان البعض يقيّم الخطابات وأصحابها، وكان البعض يقول: "أريد أن أدرس في هذه الجامعة أيضا"، وقد تركت الكلمات التي ذكرت في نهاية البرنامج أثرا جميلا في عقول الطلاب وقلوبهم.

الإيمان هو أعظم نقطة استنادنا

أقبل يوم الاثنين وكان الدرس للأستاذ يوسف، وقد فهم الطلاب أهمية الإيمان بالله بعد المؤتمر فهما جيدا.

قال الأستاذ يوسف:

-أصدقائي الأعزاء، لقد تابعتم جميعا المؤتمر الذي ذهبنا إليه خلال عطلة نهاية الأسبوع باهتمام وسجّلتم ملاحظاتكم، أشكركم جميعا، والحمد لله كانت نتائج المؤتمر مثمرة.

قالت بتول:

-بل أنت من يستحق الشكر يا أستاذنا، أنا سعيدة بدعوتك إيانا، وكنت سأشعر بحزن شديد لو لم أحضر هذا البرنامج، وقال الطلاب الآخرون: "هذا صحيح يا أستاذنا، شكرا جزيلا لك!".

سأل الأستاذ يوسف:

-ما هو أكثر شيء علق في أذهانكم يا شباب؟

قال سعيد بعد أن طلب الإذن بالتحدث:

-أستاذي، لقد دخلت الجامعة للمرة الأولى وشهدت مؤتمرا رائعا لأساتذة الجامعة في قاعة كبيرة جدًّا، لقد كانت هذه تجربة رائعة بالنسبة لي.

قال إبراهيم:

-أستاذي، وأنا أحببت القضايا المطروحة في المؤتمر كثيرا، لقد كانت مفيدة حقا.

قال الأستاذ يوسف:

-ماذا عنك يا علي؟

-أستاذي، يكاد المؤتمر لا يفارق بالي، لكن الشيء الذي لا يفارق بالي أيضا راحة الحلقوم التي تناولناها في الحافلة الصغيرة، ونرجو منك أن تأخذنا إلى مؤتمرات كهذه على الدوام، فضحك الجميع لقوله.

ثم تبسم الأستاذ يوسف وقال:

أيها الشباب، البرنامج كان مفيدا حقا، حيث أيقظ وعيا مختلفا في كل شخص منا، فلقد أدركنا عظمة الإيمان وأهميته من جديد. نعم إن الإيمان حقيقة ذات تأثير قوي، فبفضله يتعرف الناس على الله مالك كل شيء ويدركون ألا شيء في الكون يمكن أن يحدث بالصدفة، ويعلمون أن كل شيء مخلوق هو صنع الله البديع المتقن، ويعرفون أن جميع الكائنات لها وظيفة معينة من عند الله، وهكذا فإن وجود الله يعطي الأمان والطمأنينة الكاملة للمؤمن، فالإنسان يطمئن لوجود خالقه الذي يراه ويحفظه ويرحمه في كل وقت، ولا يؤذي أيا من الكائنات الحية

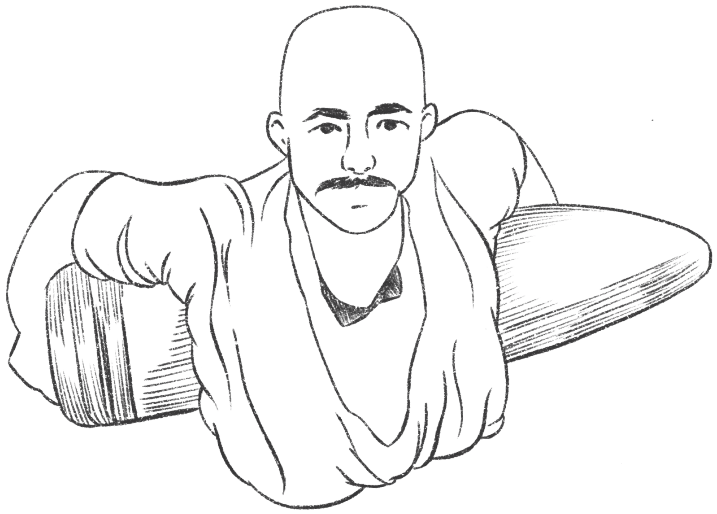

وغير الحية الأخرى لعلمه أن لها وظائف أيضا، فالإيمان يسوقه إلى فعل كل خير وكل ما هو مفيد.

قال حسن بعد أن طلب الإذن:

-أستاذي، لقد أخبرت جدتي عن البرنامج فأعجبها كثيرا وحدثتنا عن القوة التي يمنحها الإيمان للبشر، وقالت لنا " إن الشخص المؤمن قوي

وشجاع، فلقد انتصرنا في معركة ملاذكرد وجناق قلعة وحرب التحرير بقوة الإيمان".

قال الأستاذ يوسف:

-لقد كانت جدتك محقة يا حسن، إن الإيمان هو أعظم نقطة استناد لدينا، فالإنسان القوي الإيمان يعتمد على قوة الله في كل ما يصيبه طوال حياته ويتغلب على كل عسر بالقوة التي يمنحها له الإيمان، فماذا يمكن للصعوبات أن تفعله لمن يتمسك وهو مؤمن بقوة ربه غير المتناهية؟ فالمسلم ذو الإيمان القوي لا يجزع في مواجهة الصعوبات بل يصبر عليها، إذ لا يتشاءم بسبب إيمانه الذي يظهر له الجانب الإيجابي من كل شيء ولا يفقد الأمل ولا يقع في اليأس أو التشاؤم، فهو يعلم جيدا أن الدنيا وحوادثها لها مالك، وإنه يتحرك بإيمان أن الله لن يتركه وحيدا أبدا، حيث يبذل قصارى جهده لتحقيق هدف أو التخلص من مشكلة ويترك الباقي على الله عز وجل ويتوكل عليه.

أيها الشباب، هناك تناسب طردي بين الإيمان والشجاعة، أي كلما زاد الإيمان زادت الشجاعة أيضًا، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة على مر التاريخ، إذ إن الإيمان يعطي الناس هذه النظرة: "إنكم لستم وحدكم، فالله معكم، ولا تيأسوا من البحث عن الحل!"، وإن المؤمن يعلم أنه حتى الورقة لن تسقط من غصنها إلا بإذن الله فيرتاح بقلبه وعقله ونفسه ومشاعره، ويستمتع استمتاعا كاملا بالحياة.

واستأذن سعيد طالبا الكلام:

-أستاذي، أليس الإيمان يمنح الإنسان فرصة الدعاء؟

هز الأستاذ يوسف رأسه أن نعم، وقال:

-هذا صحيح، إن الدعاء فرصة عظيمة، وإن إيماننا بالله هو الذي

يمكننا من الدعاء، وهو أقوى نقطة نلجأ إليها، حيث نلوذ برحمة ربنا غير المحدودة بالوعي الذي يمنحنا إياه الإيمان، والمسلم الذي يعلم أن كل شيء يحدث بأمر الله؛ يستعين بالله أولا، فيدعو ربه، ويدرك

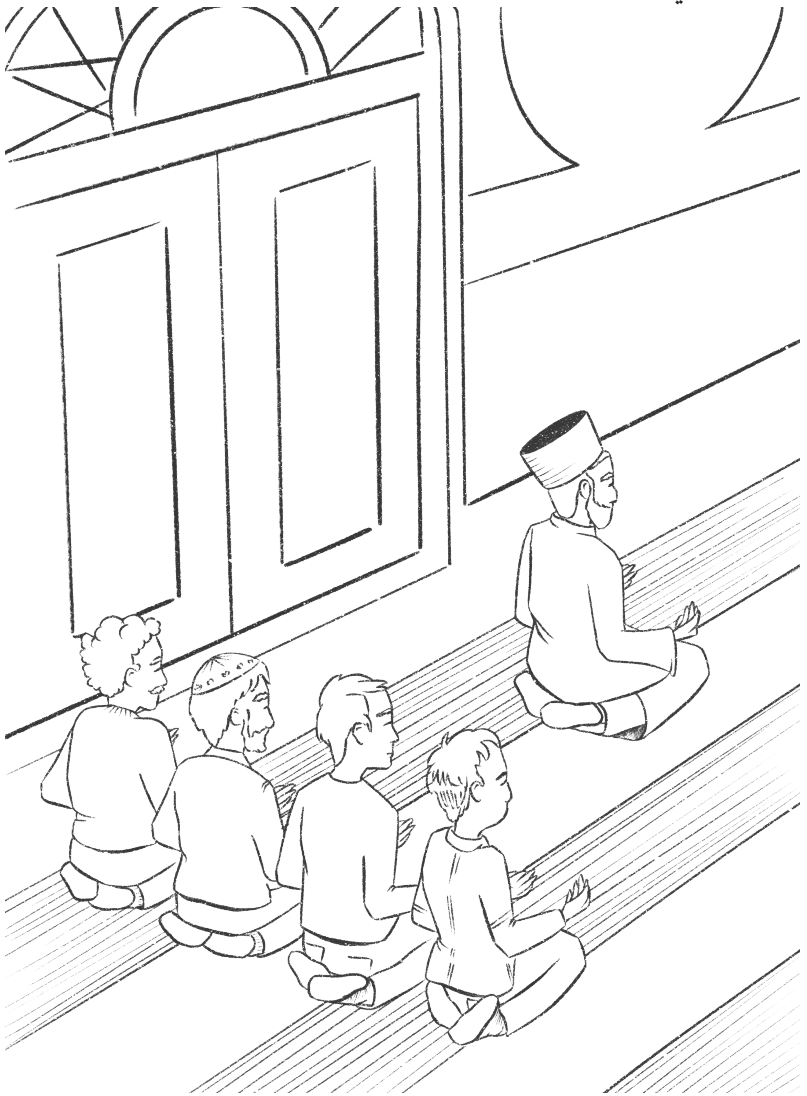

بإيمانه أن هناك من يسمع أخفى رغباته، وهو القادر على كل شيء ويستجيب دعاءه.

إن معرفة الإنسان المؤمن بأن خزائن رحمة الله التي لا تنفد ولا تنضب؛ تمنحه الأمن والاطمئنان، فالإنسان الذي ظفر بالإيمان يستطيع أن يدعو ربه في كل حال وفي كل زمان ومكان وعند كل رغبة، وبما أنه ليس لله معين في عمله ولا شريك في ملكه وقدرته، فإن الإنسان يستطيع أن يطلب جميع رغباته من ربه دون أن يواجه أي عائق أو مانع، ويمكنه أن يعتمد على قدرة الله غير المحدودة ويلجأ إلى رحمته غير المتناهية. فقالت بتول التي كانت تستمع باهتمام لما قيل: "أستاذي، لقد شعرت بعد المؤتمر أن إيماني زاد وسألت نفسي: كيف يمكنني تقوية إيماني؟".

قال الأستاذ يوسف:

-نعم، كنت أنتظر منكم مثل هذا السؤال، وفي تلك اللحظة رن الجرس، فقال الأستاذ يوسف مبتسما: "يل للنصيبب! حسنا، نجيب عن هذا السؤال المهم في الدرس القادم إن شاء الله، ففكروا "كيف نقوي إيماننا؟"، طاب يومكم، وأستودعكم الله".

كيف أستطيع أن أقوّي إيماني؟

جاء يوم الأربعاء، واستقبل الأستاذ يوسف طلاب الصف كالعادة وسألهم عن أحوالهم.

-هيا لنبحث كيف نقوي إيماننا كما اتفقنا في الدرس الماضي؟ ولنتحدث عن هذا السؤال.

قالت نسيبة:

-سألت أبي عن هذا، وقال لي: "الرياضيون يتدربون ويعملون بجد لينمّوا عضلاتهم، وكذلك نحن المسلمين يجب علينا أولا أن نكون

على علم بضرورة زيادة إيماننا، وكلما قرأ الإنسان الكتب التي تتعلق بالإيمان وتمعن فيها وحدث الناس عما قرأه؛ قوي إيمانه وزاد، وإذا نظر الإنسان إلى كل ما حوله على أنه عمل بديع متقن الصنع سيدرك أن له خالقا هو الذي خلقه، ومن ثم سيرغب في التعرف على الله الخالق لكل شيء، وكلما عرفه أكثر؛ زاد حبه، وكلما زاد حبه؛ زادت رغبته في التعرف عليه أكثر وأكثر، وكل تفكر يقوي روابط إيمان الإنسان بربه".

قال إبراهيم:

-أستاذي، لقد سألت أيضا العم عمر، وقال إن الطاعات وحسن عبادة الله تقوي إيماننا.

قال الأستاذ يوسف:

-نعم، شكرا لك، هذا صحيح، وكما قال العم عمر هناك طريقة أخرى مهمة لتقوية الإيمان وهي العبادة، فالإنسان الذي يؤدي عباداته ويقوم بما يجب عليه كعبد لله، يدرك أن الكون كله ملك لله، ويدرك أنه لم يخلق شيئا عبثا، حيث تستقر عظمة الخالق ورحمته في قلبه من خلال صلاته ومن خلال العبادات الأخرى التي يؤديها بانتظام كل يوم.

وهناك نقطة مهمة أخرى يا شباب وهي أن الشخص الذي يؤدي عباداته سيدرك أن جميع الكائنات الأخرى تؤدي عباداتها أيضا، لأن كل شيء مخلوق له غاية من خلقه، فالأغنام مثلا خلقت لتعطي الحليب، وخلق النحل ليصنع العسل، فالإنسان الذي خلق بميزات تفوق سائر الكائنات الأخرى؛ لا بد أن تكون له غاية من خلقه، وهي الإيمان وعبادة الله الخالق كل شيء، وللأسف فإن من لا يؤدي عباداته لا يرى ولا يدرك أو لا يستطيع أن يرى ويدرك عبادة الكائنات الأخرى لله، وإن عبادتنا وصلواتنا تمنحنا وعيا بالإيمان بوجود الله ووحدانيته.

أعزائي، إيماننا يستقر ويرسخ في قلوبنا بالصلاة، وعلى سبيل المثال

لديك غرسة تازجة يا إبراهيم وغرستها في التراب، هل من الممكن أن تنمو بدون أن تسقيها أبدا؟!

أجاب إبراهيم:

-لا يا أستاذي، لن تنمو ولن تكبر، بل ستيبس.

قال الأستاذ يوسف:

-كذلك عندما لا نؤدى العبادات يضعف إيماننا، وربما لن يزول لكنه سيضعف بالتدريج، ولهذا السبب عباداتنا مهمة جدًّا، فعباداتنا وصلواتنا وتضرعاتنا هي من أهم العناصر التي تنمي الإيمان في قلوبنا وترسخه فيها. أيها الشباب الكرام! يشعر الإنسان بضعفه وحاجته الى الله من خلال عبادته وتواصله مع ربه وبخاصة من خلال الصلاة خمس مرات كل يوم، فهو يطلب كل احتياجاته من الله وحده، ويدرك عجزه أمامه فيعتمد على قدرته غير المحدودة ويتقرب إليه بالعبادة، فهذا الإنسان يصبح عبدا مخلصا لله، عالما بضعفه وعيوبه بما تعطيه العبادة من وعي، فإذا لم نصلِّ وانقطع تواصلنا مع ربنا فسوف نصبح أنانيين وقساة القلوب حفظنا الله.

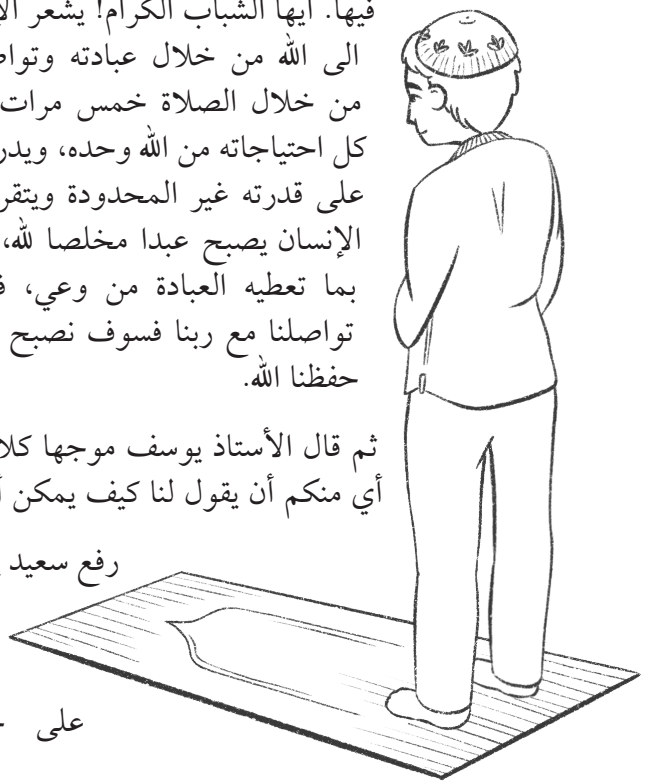

ثم قال الأستاذ يوسف موجها كلامه للطلاب: هل يريد أي منكم أن يقول لنا كيف يمكن أن نقوي إيماننا؟

رفع سعيد يده طالبا الكلام وقال:

-أستاذي، قرأت في كتاب أن التعرف على حياة الأنبياء عليهم

السلام جميعهم والصحابة رضي الله عنهم، وخاصة حياة نبينا الحبيب صلى الله عليه وسلم وكيف أنهم كانوا يلقون معاناة وصعوبات في حياتهم، كل هذا يقوي إيماننا.

قال الأستاذ يوسف:

-هذا جميل. نعم؛ لقد أُرسل الناس إلى هذه الدنيا لغاية مقدسة، وهداة الناس في المرتبة الأولى هم الأنبياء عليهم السلام، وإن سِيَر جميع الأنبياء والأولياء الذين عاشوا قبلنا وقاموا بواجباتهم التي كلفهم الله

بها؛ تقوينا معنويا، وخاصة سيرة نبينا الأكرم صلى الله عليه وسلم مرشد عظيم وقدوة كبيرة لنا.

لقد علّمنا نبينا الحبيب صلى الله عليه وسلم ما يريد الله منا أن

نفعله، فضلا عن أنه أظهر لنا بالأمثلة من خلال معرفته كيف ينبغي لنا أن نقوم بوظائفنا، وأوضح لنا لماذا ينبغي أن نجتنب بعض الأمور، وأخبرنا بما نناله عندما نقوم بما يأمرنا الله به، وما نخسره إذا لم نقم. ولقد تعلم الصحابة الكرام رضي الله عنهم وهم تلاميذه الأوائل درس الإيمان منه صلى الله عليه وسلم على أكمل وجه، وعرفوا إجابات مثل هذه الأسئلة من نبينا: ما هو الإيمان؟ ما معنى حب الله؟ وكيف يكون الإنسان إنسانا كاملا؟ وكيف يكون التفكر في آثار الله؟ وكيف يمكننا أن نشكر ربنا على نعمه؟ وكيف تكون العبودية الحقيقية لله؟

قال الأستاذ يوسف: هل لدى أحد رأي آخر عن هذا الموضوع؟

قالت زينب:

-أستاذي، هل يمكنني أن أطرح سؤالا؟

-بالطبع يا زينب، بكل سرور!

-هل تقوية الإيمان له علاقة بالبيئة الاجتماعية الجيدة؟

-نعم يا زينب، أحسنت، إن البيئة الاجتماعية الصالحة والأصدقاء الصالحين مهمون جدًّا، فإذا غرستْ بيئة الإنسان الخير والجمال فيه، كان ذلك الإنسان ميالا إلى الخير والجمال والنفع، ويجب أن يكون الأصدقاء الذين نختارهم هم الذين يقربوننا من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، حيث يتلقى الإنسان أول دروس الإيمان من أسرته وأقاربه وجيرانه، فيكون والداه معلمين له، إذ يعلمون أولادهم الإيمان والإسلام عمليا وتطبيقيا، ويعمل الأقارب والجيران معا لتوجيه بعضهم البعض الآخر نحو الجنة، لذا يجب على الإنسان دائما أن يحسن اختيار بيئته الاجتماعية ويهتم بهذا الموضوع؛ لأن البيئة الفاسدة والأصدقاء الفاسدين من أهم العوامل وراء العادات والسلوكيات الضارة في المجتمع اليوم.

أعزائي الشباب، إيماننا هو أهم شيء يجب أن نهتم به ولا نضيعه أبدا، لأنه هو الذي سيقودنا إلى الجنة، لذا يجب علينا أن نفرَّ من البيئة الفاسدة والأصدقاء الفاسدين الذين قد يضرون بإيماننا واعتقادنا كما نفر من العقارب والثعابين، ويجب أن نسعى إلى البحث عن البيئات الاجتماعية الصالحة النافعة والأصدقاء الصالحين الذين يقودوننا إلى الخير والجمال.

ومرة أخرى انتهى الدرس بصوت الجرس، فقال الأستاذ يوسف بصوت عذب: "أنتم أيضا بحاجة إلى استراحة يا شباب، هيا لنلتق في الدرس القادم بموضوع آخر، إلى اللقاء إن شاء الله، دمتم في أمان الله وحفظه ورعايته"، وغادر الصف مبتسما.